محمد أبو رحمة

العلاقات العاطفية
عند
الفراعنة

مقدمة

فى عام ١٩٨٧ اصدرت احدى دور النشر الانجليزية كتابا بعنوان :

(Sexual life in anicent Egypt)

تأليف السيدة : Lise Manniche

وبعد عدة شهور صدرت ترجمة ألمانية ــ لنفس النص ــ وهى الترجمة التى نقلت عنها النص الى اللغة العربية •

والسيدة ليزمانيش ــ كما جاء على غلاف الكتــاب ــ دانمركية الأصل ، وان كانت تعمل فى كمبردج • ودرست علوم المصريات فى كل من باريس وكوبنهاجن كما أنها عاشت فترة طويلة فى مصر ، ولها عدة دراسات فى هذا المجال •

وقد بذلت ليزمانيش ــ بلا شك ــ جهدا فى جمع مادة الكتاب من مصادر عديدة ، وذلك من أجل القاء ضــوء على موضوع غامض ، يمثل عنصرا هاما من عناصر الحياة الاجتماعية فى بلدنا ابان العصور القديمة •

وقد قدمت لنا استعراضا شيقا لعلاقة الرجل بالمرأة •• وعلاقة كليهما بالجنس والحب سواء على نحو مباشر أو غير مبــاشر •

وبالرغم من اننا – كمصريين – نشكر كل من يقوم بجهد مهما كان ضئيلا – لسبر اغوار حضارتنا المصرية العظيمة ..

وبالرغم من افتراض حسن النية لدى السيدة ليزمانيش – وغيرها – الا اننا نأخذ على كتابها هذا ما يلى :

أولا : الربط الدائم بين الجنس وبين عناصر عامة من الحياة الاجتماعية ، وخصوصا الفن ، مما يوحى للقارىء بأن الجنس هو الدافع والمحرك لأنشطة شتى .

ثانيا : افتقار الكتاب للوثائق والاسانيد العلمية وقد نوهت المؤلفة بنفسها عن ذلك فى مقدمة الكتاب حيث قالت : « ... الا اننا مازلنا نجهل الكثير عن ذلك ، فالوثائق عن مصر (القديمة) غالبا ما تكون ناقصة ، ونحن لا نعرف الا القليل عن الحياة الخاصة لشعبها » .

ثالثا : الوثائق التى اوردتها المؤلفة لا تؤكد – فى بعض الاحيان – وجهة نظرها ، بل انها فى بعض الأحيان تثبت هذه الوثائق عكس وجهة نظر المؤلفة .

رابعا : ان الكتاب بأسلوبه ومنهاجه يعطى صورة مشوهة عن الحضارة المصرية ، ويترك فى ذهن القارىء انطباعا غير صادق عن أسلوب الحياة فى مصر . وهذا هو اخطر المآخذ الأربعة جميعها .

من أجل هذه الأسباب ، رأيت أنه من واجبى الرد على ما جاء بهذا الكتاب بالتعليق المباشر حينا وباستكمال موضوع ناقص حينا آخر ، كما قمت بوضع هوامش لبعض المعلومات المتعلقة بحضارة مصر فى سالف الزمان .

ولابد من الاشارة الى أننى – خلال ردى – لم أشأ اثبات أن المجتمع المصرى مجتمع مثالى وفاضل وخال من الرذيلة ، فمثل هذا المجتمع لم تعرفه البشرية بعد .

وبالرغم من ذلك ، اسوق هنا شهاد واحد من أشهر علماء الغرب المتخصصين فى دراسة الحضارة المصرية ، ألا وهو هنرى برستيد الذى يقول عن المجتمع المصرى فى كتابه فجر الضمير :

« ليست اهمية ظهور المدينة فى وادى النيل منحصرة فى بهاء مبانيها فحسب ، بل لأنه كان ايضا تطورا اجتماعيا مستمرا دون أى عائق أكثر من ألف سنة ، اشرق على كرتنا الأرضية مقدما أول برهان على أن الانسان – الذى هو أرقى المخلوقات الفكرية التى ظهرت على وجه البسيطة – أمكنه أن يخرج من الوحشية الى المثل الاجتماعى ويظهر الحياة الانسانية بمظهر لم ير الكون كله – على ما نعلم – أرقى منه » .

هذا وقد استخدمت فى تحقيق هذا الكتاب والرد عليه المراجع التالية :

* الفن المصرى القديم
تأليف : كريســـتيان ديروش نوبلكور

* تاريخ الفن المصرى القديم
تأليف : محرم كمال
الناشر : مكتبة مدبولى

* التعبير الحركى عند قدماء المصريين
تأليف : نفيسة الغمراوى
الناشر : محمد حسنين زهير جمعية الشبان المسلمين

* الرقص المصرى القديم
تأليف : ايرينا لكسوفا
الناشر : الدار المصرية للطباعة والنشر

* مجوهرات الفراعنة
تأليف : سيريل الدريد
الناشر : الدار الشرقية

* اخناتون
تأليف : سيريل الدريد
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

* الأسرة المصرية
تأليف : د. عبد العزيز صـــالح
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

* عندما حكمت مصر الشرق
تأليف : ج. ستيذورفا ك. سيل
الناشر : مكتبة مدبولى

* الديانة المصرية القديمة
تأليف : ياروسلاف تشرنى
الناشر : هيئة الآثـــار المصرية

* رسالة بلوتارخوس عن ايزيس واوزوريس
ترجمة : د. حسين صبحى بكرى

* موسوعة تاريخ مصر
تأليف : أحمد حسين
الناشر : دار الشعب

* موسوعة الآثار المصرية فى وادى النيل
تأليف : جميس بيكى
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

* تاريخ مصر القديمة
تأليف : نيقولا جريمال
النـــاشر : دار الفكـــر الدراسات

* القانون الجنائى عند الفراعنة
تأليف : د. عبد الرحيم صـــدقى
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

* هرودوت
ترجمة : د. محمد صقر خفاجة
تقديم وشرح : د. أحمد بـــدوى
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

* الأدب المصرى القديم
تأليف : سليم حسن
الناشر : اخبار اليوم

* « كتاب الموتى » الفرعونى
ترجمة : السيد والى بدج
د. فيليب عطيه
الناشر : مكتبة مدبولى

* آلهة مصر
تأليف : فرانسوا دوماس
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب

* فجر الضمير
تأليف : جيمس هنرى برستيد
الناشر : مكتبة مصر

* صفحات مشرقة من تاريخ مصر القديمة
تأليف : د. محمد ابراهيم بكر
الناشر : دار المعارف

محمـــد أبو رحمـــة
القاهرة : يونيو ١٩٩٢

الفصل الأول

« المصريون والجنس »

تبدأ السيدة ليز مانيش كتابها بهذا العنوان العام ولست ادرى سبب اختيارها هذا العنوان الذى يصلح لكتاب وليس لفصل صغير – كما سنرى . فالعنوان أكبر كثيرا مما ارادته المؤلفة كموضوع لهذا الفصل .

على كل ، تعتمد السيدة ليز فى هذا الفصل على كتاب هيرودوت(١) المؤرخ الاغريقى الشهير فتنقل عنه الفقرات التالية :

« وهؤلاء يبلن واقفات ، أما الرجال فيفعلون وقد قعدوا القرفصاء . وهم يتغوطون فى بيوتهم ويأكلون فى الطرقات ، معتقدين أن الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى فى الخفاء أما غيرها فجهره » .

(....)

وأعضاء التناسل يتركها عامة الناس على طبيعتها ، أما المصريون ومن أخذ عنهم فيمارسون الختان . ولكل رجل ثوبان وللمرأة ثوب واحد . وهم يلبسون ثيابا من الكتان

يهتمون جدا أن تكون حديثة الغسيل . وهم يمارسون الختان حبا فى النظافة لانهم يفضلون النظافة على حسن المنظر . وكل يومين يحلق الكهنة أجسامهم بالكامل حتى لا يتوالد القمل أو غيره من الحشرات اثناء قيامهم بخدمة الآلهة ، وهم يغتسلون مرتين كل نهار بالماء البارد ومرتين كل ليل » .

* * *

نتوقف هنا قليلا لنعلق على ما أوردته ليز مانيش على لسان هيرودوت فنقول :

أولا : يدعى هيرودوت أن النساء المصريات يبلن واقفات ... وهذا قول مشكوك فى صحته فمن المستحيل أن هيرودوت رأى هذا الوضع بعينيه بشهادته هو نفسه وهو أن المصريين يقضون حاجتهم داخل ديارهم . والمشهور عن شعبنا المصرى المحافظة الصارمة على التقاليد والآداب العامة .. فمن غير المعقول أن يسمح مصرى بدخول غريب الى منزله ليريه أهل بيته فى هذا الوضع . ناهيك عن أن الفترة القصيرة جدا التى قضاها هيرودوت فى مصر – أربعة شهور فقط – لا تسمح له برؤية هذا المشهد الخاص جدا . وفى رأيى أن الأمر كله لا يتعدى دعابة اطلقها أحد المصريين المصاحبين لهيرودوت اثناء رحلته ، تماما كما يفعل الترجمانات حول الآثار المصرية مع السياح الأجانب حتى وقتنا هذا ، فهيرودوت لم يكن بالنسبة لهذا

الترجمان الا خواجه يصدق كل ما يروى له . الا أن هيرودوت الذى لم يستطع النفاذ الى روح السخرية فى الشعب المصرى ـ سجل هذه الدعابة على انها حقيقة واقعة .

ثانيا : وقد كان شعبنا المصرى أول الشعوب على الاطلاق التى مارست الختان حبا فى النظافة والتطهر ونقلته عنا شعوب أخرى وما زالت تمارسه حتى اليوم .

وتستمر المؤلفة فى النقل عن هيرودوت الذى يقول :

« والمصريون ايضا هم أول من راعى السنة التى تحرم جماع النساء فى المعابد كما تحرم دخولها بعد الجماع دون اغتسال . وسائر الشعوب ـ فيما عدا المصريين واليونانيين ـ يجامعون النساء فى المعابد ويدخلونها بعد الجماع دون اغتسال ، اذ يعتقدون أن شأن الانسان فى ذلك شأن الحيوان » .

ثم تعلق السيدة ليز على عبارة هيرودوت بقولها :

« وهذه هى الاشارة الوحيدة الى اعتبار العلاقة الخاصة بالمرأة شيئا نجسا ان ارتبط الأمر بالطهارة الواجبة على كل من يدخل مكانا مقدسا وهذه التعاليم ما زالت متبعة من المسلمين أحفاد المصريين » .

ونحن نتفق مع كلام هيرودوت ، فشعبنا المصرى كان ولا يزال يستنكف ممارسة الجنس فى دور العبادة ، اذ اننا

نعتبر مكان العبادة بيتا للاله مطهرا من كل دنس ، ولا عجب أن يحض كتاب الموتى(*) على ذلك ، ولا عجب أن تستمر هذه الخصلة الحميدة الى يومنا هذا .

الا أن هناك ثمة اعتراض ـ من جانبنا ـ على رأى السيدة ليز نفسها حين تستخلص من عبارة هيرودوت كلاما لم يقله ونتيجة لم يذهب اليها فتجعل المصريين يربطون العلاقة الخاصة بالمرأة بالنجاسة ، وهذا ما لم يقل به احد ، اذ أن الاغتسال بعد الجماع واجب على المرأة والرجل سويا ، ولو كان مقصورا على

(*) كتاب الموتى : تسمية اتفق عليها علماء المصريات واطلقوها على مجموعة ضخمة من البرديات ، كانت توضع فصول منها مع المتوفى فى قبره ...

ويعود تسجيل نصوص كتاب الموتى على البردى الى عصر الدولة الحديثة . الا أن اجدادنا المصريين قد قاموا بتسجيل أفكارا شبيهة على جدران التوابيت فى عصر الدولة الوسطى ، وكذلك على جدران الأهرام فى الدولة القديمة ـ ومنها هرم اوناس بسقارة (الأسرة الخامسة ٢٤٠٠ ق.م.) والذى يضم اقدم كتابة دينية فى العالم على الاطلاق ..

ونصوص كتاب الموتى على اختلافها وتباينها ، تعكس فى مجملها نظرة اجدادنا المصريين الى الموتى باعتباره فترة مظلمة صعبة يجب اجتيازها الى رحاب الخلود ..

وتشمل هذه النصوص ابتهالات وصلوات وشعائر جنازية وتعاويذ وصورا عن الحياة الأخرى .. والآلهة والحساب ، والثواب والعقاب ... الخ .

الرجل وحده لصح رأى المؤلفة . أما نجاســة المرأة وربطهـا
بالشيطان وأشياء أخرى من هذا القبيل فقد قالت به أمم أخرى
غيرنا .

وتستعرض المؤلفة عدة مشاهد من احتفالات المصريين فى
الأزمنة البعيدة فتنقل عن المؤرخ ديودور الصقلى وصفه لدفن
العجل ابيس[٢] .

« وبعد أن احضروه ــ أى الكهنة ــ على المركب المقدس
بمقــرته الذهبيــة ، ذهبــوا به كاله الى منف[٣] فى معبــد
هفايستوس[٤] وكانوا يقصرون رؤيته على النساء فقط خــلال
الاربعين يوما المذكورة سابقا .

وكانت النساء يقفن أمامه ويرفعن أطراف ثيابهن ليرينــه
اعضاءهن الجنسية ومن هذه اللحظة يحرم عليهن رؤية هذا الاله .

ثم تعود المؤلفة لتنقل عن هيرودوت مشاهدات لاحتفالات
أخــرى :

« وفى طريقهم الى بوبسطيس[٥] يسلكون هذا المسلك :
يبحر الرجال والنساء معا ويحمــل كل قارب عــددا كبيرا من
الجنسين ويطبل بعض النسوة على الطبول التى بأيديهن وبعض
الرجال يزمرون طول الطريق ، أما باقى النساء والرجال فيغنون
ويصفقون . فاذا بلغوا أثناء ابحارهم مدينة من المدن تنحــوا

بزورقهم الى الشاطىء وقاموا بما يأتى : بينما يســتمر بعض
النساء فى القيام بما وصفت ، تعلو أصوات بعضهن هاتفــات
ساخرات بنساء هذه المدينة . وبعضهن يرقصن كما يقف بعضهن
رافعات ثيابهن والناس يفعلون ذلك عند كل مدينة على شــاطىء
النهر . وعند وصولهم بوبسطيس يحتفلون بالعيد ويقــدمون
أضحيات عظيمة . ويستهلكون من النبيذ أكثر مما يستهلكون فى
بقية العام كله » .

ثم يصف هيرودوت احتفال المصريين بعيد ديونيسوس[٦] :

« ويكاد يكون احتفال المصريين بعيد ديونيسوس أن يشبه
من جميع الوجوه احتفال اليونانين به فيما عدا الرقص .

وقد ابتكروا بدلا من المذاكير تماثيل طول التمثال منها ذراع
يكن تحريكها بواسطة خيط تطوف بها النساء فى القرى . وعضو
التذكير بها متحرك لا يقل فى طوله عن باقى الجسم . ويتقدم
الموكب الزمار تتبعه النساء اللاتى تتغنى بديونيسوس . اما عن
السبب الذى من أجله كان عضو التذكير كبير الحجم وكان يتحرك
دون سائر اجزاء الجسم فلذلك قصة يروونها » .

وقد علقت السيدة ليز على هذه العبارة بقولها :

ومثل هذا العضو الذكر كان لا يقدســه المصريون فى
شعائرهم .

وقد قالت ايضا : « من المرجح أن هيرودوت يشير هنا الى
اسطورة ايزيس واوزوريس[٧] » .

هوامش الفصل الاول

١ ـ هيرودوت :

هو الرحالة والمؤرخ الاغريقى الشهير ولد حوالى (٤٨٩) وتوفى عام (٤٢٥) قبل الميلاد .

وقد قام بزيارة لمصر ومكث فيها حوالى اربعة شهور بعد ذلك قام بتأليف كتابه عن مصر الذى سجل فيه وصفا لحدودها وطبيعتها وعادات شعبها وطقوس وشعائر دينها وكذلك تاريخ بعض حكامها .

ونظرا للمدة القصيرة التى قضاها هيرودوت فى مصر نجده يعتمد بشكل اساسى على الرواية فقد اعطى هيرودوت اذنه لبعض « الترجمانات » الذين يصحبون السائحين فى زيارتهم لمصر ، وهؤلاء عادة ما يبالغون فى رواياتهم . ولقد عاب كثيرون على هيرودوت عدم تمحيصه لهذه الروايات او التدقيق فيها .

٢ ـ ابيس :

هو العجل المقدس ابيس وهو الصورة الحية لبتاح اله منف . وهو عجل اسود له سمات خاصة تميزه . وهو رمز للخصوبة والقوة والفحولة . وقد شيد له معبد فى منف وتم العثور على جبانة ضخمة لابيس فى سقارة عبارة عن انفاق طويلة تحت الأرض تحتوى على توابيت خاصة بأبيس مصنوعة من الجرانيت ويصل وزن احدها الى ٩٠ طنا .

٣ ـ منف :

اول عاصمة لمصر المتحدة ، حيث اتخذها الملك مينا عاصمة له حوالى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد وموقعها الان يعرف باسم « ميت رهينة » وهى قرية تقع على بعد حوالى ٢٠ كيلو مترا من أهرام الجيزة .

٤ ـ هفايستوس :

هو الاسم الاغريقى للاله المصرى بتاح . الذى كان مقر عبادته بمدينة منف وهو راعى الفنانين والحرفيين . وهو خالق عن طريق التفكير بقلبه والنطق بلسانه . وقد صور على هيئة انسان ممسكا بعصا الحكم .

٥ ـ بوبسطيس :

كانت بوبسطيس مقرا لعبادة الالهة المصرية باستت ـ التى كانت تصور على هيئة قطة . وبوبسطيس تقع الآن مكان تل بسطة بمحافظة الشرقية .

٦ ـ ٧ ديونيسوس :

التسمية الاغريقية للاله المصرى العظيم اوزوريس ، والذى ذكرته ليز مانيش باسمه فى آخر فقرة بهذا الفصل حين اشارت الى اسطورة ايزيس واوزوريس .

والاله أوزوريس هو اله العالم الآخر فى الحضارة المصرية وحاكم عالم الموتى وهو قاضى الآخرة الذى ينظر فى اعمال الناس . وهو يصور على هيئة انسان ، ملفوفا برداء ابيض (دليلا على النقاء والطهر) ويتخذ وجهه فى بعض الأحيان اللون الأخضر رمزا للخير والخصوبة ، واضعا على راسه تاج الجنوب الأبيض تحف به ريشتان ، ممسكا بيديه عصا الحكم .

وأوزوريس هو ابن « جب » اله الأرض « ونوت » الهة السماء . وكان له أيضاً ثلاثة اشقاء هم ست وايزيس ونفتيس ، يمثلون او لجيل بشرى . ثم كان أن تزوج أوزوريس بايزيس بينما تزوج ست بنفتيس .

وتحكى الاسطورة عن اوزوريس الملك الطيب الحكيم المحبوب من الجميع لما قدمه من افعال الخير لجميع الناس ، فهو الذى علم الناس اسماء الاشياء وعلمهم فنون الحياة بدءا من زراعة وانتهاء بالفن .

ولما راى ست — الاخ الشرير لاوزوريس — الناس تلتف حول اخيه وترفعه مكانة عالية ، حقد عليه وحسده وعزم على الخلاص منه طمعا فى الاستيلاء على عرشه . وكان ان دعا ست اخاه اوزوريس الى حفل اقامه لغرض فى نفسه . وفى الحفل اعلن ست عن اهداء تابوت نفيس الى من يناسب حجمه حجم هذا التابوت فجرب المتآمرون مع ست حظهم ، وما ان جاء دور اوزوريس ودخل التابوت حتى اغلقوه عليه ، ثم حملوه والقوا به فى النهر . فحملته المياه الى مدينة جبيل بلبنان . اما ايزيس — زوجة اوزوريس — فقد مضت تبحث عن زوجها وهى تنتحب حتى عثرت عليه . وتقول رواية اخرى ان ست اخذ اوزوريس وقطعه اربا والقى باشلاءه فى اماكن متفرقة . وقد قامت ايزيس بجمع اشلاء زوجها واعادت اليه الحياة لبرهة من الزمن استطاعت خلالها ان تحمل منه بولد ، ولما وضعت وليدها اخذت ايزيس تحضه على الانتقام من عمه الشرير وتحثه على استرداد عرش ابيه واعادة الامور الى نصابها . وكان ان قام حورس ابن أوزوريس بملاحقة ست ، وبعد صراع مرير بينهما انتصر حورس واسترد مكانة ابيه . وصار حورس رمزا للقصاص العدل حاكما لمصر بينما صار ابوه حاكما للعالم الآخر .

وقد انتشرت عبادة اوزوريس فى ربوع مصر . بينما دخلت عبادة ايزيس — زوجته — الى مناطق كثيرة فى اوروبا .

ويقول علماء المصريات ان عبادة أوزوريس كانت فى البدء فى مدينة ابى صير بالدلتا . ثم انتقلت من هناك الى انحاء مصر . الا أن ابيدوس (العرابة المدفونة بمركز البلينا بسوهاج) صارت مركزا لعبادة اوزوريس وصار الناس يحجون اليها .

* * *

الفصل الثانى

كانت السيدة ليز مانيش مؤلفة كتاب الحب والجنس قد تطرقت فى بحثها المذكور الى عدة موضوعات أوردتها متناثرة فى فصول تباعدة . ولما كانت هذه الموضوعات متقاربة فقد آثرت أن اضمها الى بعضها البعض واضعها فى هذا الفصل ، تحت نفس عناوينها وهى : المحظيات والزنا ، زواج المحارم ، تعدد الزوجات ، الدعارة .

المحظيات والزنا :

تقول السيدة ليز :

« بالرغم من أن الدعارة كانت معروفة بلا شك الا انها كانت مكروهة فى مصر خاصة اذا مارسها المتزوجون . فقد كان الاعدام هو عقوبة الزوجة الزانية .

اما فى العهدين اليونانى والرومانى فقد كان يتم تطليقها .. وبالرغم من ذلك كانت حوادث الزنا كثيرة كما توضح الوثائق الأدبية (!!!) » .

* * *

كانت هذه الفقرة هى فاتحة كلام السيدة ليز عن المحظيات والزنا فى مصر ، ومع انها تقر فى أول الفقرة أن الدعارة كانت « مكروهة » فى مصر الا انها تضيف بجرأة شديدة أن حوادث الزنا كانت كثيرة بل وتؤكد على ذلك بالوثائق الأدبية ... ولى أن اسأل المؤلفة اين تلك الوثائق الأدبية ؟ وما الذى منعك عن نشرها ؟

اما تلك الوثائق التى اوردتها المؤلفة ــ كما سيأتى ــ فتبرهن على عكس ما ذهبت اليه الا وهو النظرة المحافظة للمصرى لأسس ومبادىء مجتمعه التى تصل الى حد وضع عقوبة الاعدام للزناة .

ونرى هذه النظرة المحافظة كامنة فى ضمير الانسان المصرى حتى أنه يضمنها أدبياته الدينية والحياتية فنراه ينكرها أمام الله فى الآخرة بقوله « انى لم ارتكب الفاحشة مع امرأة ولم اقترف ما يدنس عرضى » ، وفى رواياته وقصصه نجده يستنكر الزنا ويذم مرتكبيه ويجعل نهايتهم آثمة وعاقبتهم خاسئة . بل وصل بالمصرى الأمر الى وصف المرأة العاهرة بأنها أجنبية أى أن من ترتكب مثل هذه الافعال ليس لها شرف المواطنة .

ولا نجد خيرا من القانون المصرى للرد عى ما جاءت به المؤلفة اذ أنه يقضى بالاعدام على الزانى .. على أنه ارتكب

فاحشة وخان المبادىء الرصينة التى شاء المصريون بنيان مجتمع فاضل على أسسها ، ولذلك كانت الدولة هى التى تتكفل بتعقب الزناة وعقابهم بموجب أن الزنا هو جريمة ضد النظام القائم والمعمول به .. وكانت عقوبة الزنا تتراوح بين الاعدام وجدع الانف والجلد .

ولنا الآن أن نلقى نظرة على الوثائق الأدبية التى أوردتها ليز مانيش مؤكدة انتشار الزنا فى مصر وليتها ما فعلت . فهذه الوثائق ــ كما ذكرنا ــ تثبت عكس ما ذهبت اليه السيدة ليز .

أما أول هذه الوثائق فعبارة عن رسالة مسجلة على لوح . كتبها رجل يدعى أمنمحات حيث يقول :

(كنت كاهنا ، وكنت العصا التى توكأ عليها والدى الشيخ طوال حياته .. ولم اضاجع جارية فى بيته ولم تحمل منى خادمة) .

وثانى الوثائق عبارة عن رسالة من رجل الى زوجته المتوفاة يظهر لها فيها اخلاصه ووفاءه لها حتى بعد موتها فيقول فى رقة متناهية وود خالص :

(لم يكن هناك سوء قط فعلته بك فأنا لم أدخل دارا أخرى (زانيا) ، وانظرى فقد قضيت ثلاث سنوات أسكن (وحدى) ولم أدخل دارا ، فليس من اللائق أن يأتى رجل مثلى بهذه الافعال ..

، انت لا تعرفين الطيب من الخبيث ولكن هناك من سيقضى بينى وبينك • اما فيمـا يتعلق بالاخوات فأنا لم ادخـل على واحدة منهن) •

وتعلق السيدة ليز على هذه العبارة فتقول :

اما عبـارة « دخول دار أخـرى » فلهـا معنى جنسى واضح ثم تستطرد مقدمة للوثيقة التالية فتقول :

« وهناك شىء آخر كان على ما يبدو مشروعا تماما لغير المتزوجين ، وهو أن يكون لهم عشيقات ، ففى عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد كان هناك شاب يدعى حق ان اخت من التجار الرحالة وقد كتب الى أسرته يقول :

(لقد قلت لكم لا تبعدوا عنها رفيقات « حتبت » سواء كانت المـاشطة أو الخادمة واهتموا بأمرها جيدا ، فتكون كل احوالكم طيبة •• واذا كنت غير راغب فيها فارسل الى أيوتنحب وبذلك يحيا الرجل صادقا ، ـ وأنا اعنى ايب ـ ، ومن يؤذى جاريتى يؤذينى وأكون خصما له •

انظروا ، هذه هى جاريتى ، وانتم تعرفون كيف تعاملون جارية رجل • وهل يتحمل واحد منكم أن تغتاب زوجته لديه •• فهل لى أن اتحمل انا ذلك ، وكيف اعيش معكم فى نفس الدار ؟ كلا ، فلسوف تعاملون جاريتى مثلما اريد) •

وتخرج السيدة ليز من هذه الرسالة بنتيجة عجيبة تقول :

« اذن المحظية هنا لها وضع الزوجة الا ان هذه حالة شاذة غير مألوفة » •

ونحن نقول للسيدة ليز ان لفظ جارية كان يطلق حتى وقت قريب على الزوجة وهو ما قاله أيضـا حق ان اخت فى رسالته حين خاطب اخوته قائلا :

« هل يتحمل أحدكم أن تغتاب زوجته لديه » •

فهو هنا يضع زوجته أو جاريته على قدم المساواة مـ زوجات اخوته ، ولو كان الوضع مختلفا لقال : « هل يتـ احدكم ان تغتاب محظيته لديه » •

ولو كان لفظ جارية يفهم منه حينذاك الخادمة لمـا « حق ان اخت » فى بداية رسالته « لا تبعدوا عنها رفيقات حتبت سواء كانت المـاشطة أو الخادمة » •

واذا عدنا الى الرسالة مرة أخرى نجد أن « حق ان اخت » يضع الجارية المذكورة موضعا موقرا وينزلها منزلة عزيزة حين يساويها مع نفسه حيث يقول : « ومن يؤذى جاريتى يؤذينى

بل أن هذا الرجل المصرى يكلف نفسه وهو على سـفر بعيد بكتابة رسالة لا يضمنها الا حض أهله على معاملة زوجته

معاملة لائقة تليق برجولته التى تحث على حماية زوجته حتى من اقرب الناس اليه وهو يهددهم بأقصى ما يستطيع رجل اتخاذه ضد أهله وهو الخصومة فيقول :

« ومن يؤذى جاريتى يؤذينى وأكون خصما له » ... ، وكيف اعيش معكم فى نفس الدار ، كلا فلسوف تعاملون جاريتى باحترام مثلما اريد » .

هذا هو خلق المصرى الأصيل الذى يصلح نبراسا للعلاقات الزوجية والأسرية فى كل العصور ...

وبدلا من أن تلقى السيدة ليز نظرة أخرى على مضمون الرسالة السابقة راحت تقول :

« ان هذه حالة شاذة غير مألوفة » ثم تضيف :

« ان النصوص تشهد على قاعدة أخرى — وهى موجودة على أثر معمارى — تبرهن على أنه كان بامكان الرجل المتزوج أن يتخذ عشيقة حتى لو كانت زوجته قد انجبت له اطفالا . ففى احدى محافظات مصر الوسطى ، على مقربة من بنى حسن[1] — كان فيما يبدو لأحد الحكام المعاصرين لزمن حق ان اخت — كان له محظية جعلها مديرة لمنزله ثم تزوجها بعد وفاة زوجته وكانت أنجبت له ولدين وبنتا اثناء ما كانت محظية له » .

وانى لا تعجب أن تصف السيدة ليز حالة حق ان اخت بالشذوذ والخروج عن المألوف بينما ترى فى حالة الحاكم هذه قاعدة تبرهن على كذا وكذا ... وتضيف المؤلفة حالة أخرى :

« وها هى محظية أخرى تنتحب لطردها واحلال محظية أخرى محلها فتقول :

« مثلما حدث للمرأة العوراء التى عاشت فى دار رجل عشرين عاما وعندما عثر على امرأة أخرى قال لها (للاولى) : أنت طالق فأنت عوراء .

فردت عليه قائلة : ان كنت احتجت عشرين عاما لتعرف ذلك فانت الذى يستحق احتقارى » .

ثم تعلق ليز مانيش على ذلك فتقول :

« اما عبارة » يعثر على اخرى « فكانت تعبيرا يستخدمه غير المتزوجين ، وصارت مصطلحا قانونيا يطلق على الزنا فى العصر اليونانى — الرومانى » .

ونقول ان استخدام المثال عموما لا يصح الا فى حالة مقارنة حالة بحالة شبيهة والا كان المثال فى غير محله .. ومن الواضح من المثال ان المرأة هنا هى زوجة وليست محظية .

ثم تنتقل ليز مانيش قصة أخرى عن هيرودوت فتقول :

« وقد حكى احدهم لهيرودوت انه كان من الصعب العثور على امرأة وفية » :

(وبعد ذلك اصابه فى الحال أذى فى عينيه ففقد بصره وظل عشر سنوات أعمى • وفى السنة الحادية عشرة جاءه وحى من مدينة بوطو[٢] ينبؤه أن مدة العقوبة قد انقضت ، وأنه قد يسترد بصره اذا غسل عينيه ببول امرأة لم تجامع الا زوجها فقط ، فبدأ أولا بتجربة بول زوجته ولكنه لم يبصر ، فجرب بعد ذلك على التوالى بول كثير من النساء ولما عاد اليه بصره جمع النساء اللاتى جربهن (فيما عدا) تلك التى أبصر بعد الاغتسال ببولها ، جمعهن فى مدينة تسمى الآن اروترى بولس[٣] ، ثم احرقهن جميعا والمدينة ايضا • اما المرأة التى أبصر بعد الاغتسال ببولها فقد اتخذها زوجة له) •

ونحن لنا أن نتساءل هنا عن سبب ايراد المؤلفة لهذه الاسطورة •• هل هو للتدليل على عدم وفاء المصريات •• وانتشار الخيانة الزوجية فى مصر •• وهل تصلح الأساطير الخيالية للتدليل على حضارة شعب ••

الحقيقة أن هذه القصة أسطورة خيالية للغاية لا تمت للواقع بصلة ولا يمكن أن تحدث فى بلد مثل مصر له قوانينه وأحكامه وعاداته الرصينة المحافظة البعيدة عن الدم والحرق واستخدام البول للاستشفاء وفوق ذلك عرف العالم كله مدى

التفوق المذهل الذى أحرزه المصريون فى مجال الطب •• وكم كان سهلا على هذا الرجل أن يذهب الى طبيب يداوى له عينه المريضة • وها هو صاحب هذه الرواية نفسه هيرودوت يقول :
« •• وبلادهم — يقصد مصر — كلها غاصة بالأطباء بعضهم متخصص فى العيون وبعضهم فى الرأس ••• الخ » •

واكبر الظن ان الرجل الذى روى لهيرودوت هذه الأسطورة هو نفسه ذات الشخص صاحب حكاية « النساء يبلن واقفات » •

زواج المحارم :

اما عن زواج المحارم فتقول ليز مانيش :

« انه فى عهد الحكم الأغريقى لمصر :

كان زواج الاقارب منتشرا (!!!) مما جعل مصر تعرف بمهد زواج المحارم وقد اسهم فى ذلك علماء المصريات الاوائل حين فسروا لفظة الأخ والأخت تفسيرا حرفيا •

وقد كان زواج المحارم فى مصر الفرعونية استثناء وليس قاعدة (!!!) فى حين كانت هناك علاقات أخرى تسود الأسرة الملكية ، فقد كان بامكان الفرعون — لأسباب تتعلق بالمشروعية — أن يتزوج من اخته غير الشقيقة أو حتى احدى بناته مثلما فعل رمسيس الثانى[٤] وكذلك كان امنحتب الثالث[٥] على علاقة باحدى بناته :

ومن المحتمل أن اخناتون قد فعل نفس الشيء . كما يظن أن سنفرو[٦] ـ فى الدولة القديمة قد انجب من ابنته .

وقد سمع هيرودوت أن الملك منكاورع[٧] كانت له نفس الميـول .

الا انه لم يكن مألوفا بين أفراد الشعب على الاطلاق أن يتزوج الرجل بقريبته ومن بين حالات العشق العديدة من نفس النوع والتى تم بحثها أمكن بالكاد اثبات حالة واحـدة فقط لزواج المحارم » .

وتعليقنا على هذه الفقرة يتلخص فى التالى :

أولا : لا يصلح الاسـتدلال بعهـد الحكم اليونانى أو الرومانى للحكم على الحضارة المصرية التى هى اعرق بكثير من الحضارتين المذكورتين ، حيث ان العادات والتقاليد قد تغيرت كما تغيرت الأحكام والقوانين ايضا .

وقد اساء المؤرخون الأجانب فهم لفظ الأخ والأخت . فتوهموا انه عندما يقول المصرى لرجل يا أخى فانه لابد وأن يكون شقيقه فى حين أن ذلك ما زال منتشرا فى بلدنا ولا نعنى به شيئا غير المناداة القريبة .

وتقع السيدة ليز فى تناقض غريب حين تقول فى مستهل الفقرة ان زواج المحارم كان منتشرا وبعدها بعده أسطر تقول

انه كان استثناء وليس قاعدة وقبل نهاية الفقرة تقول مـره أخرى ان ذلك لم يكن مألوفا على الاطلاق . وتذهب هى نفسها الى ابعد من ذلك فتقول انه امكن بالكاد اثبات حالة واحـدة فقط .

ونحن نقول بدورنا أن هذا صحيح ولكننا نخرج بنتيجة عكسية وهى أن الزواج من المحارم لم يكن منتشرا فى مصر . ولم تكن مصر مهدا لزواج المحارم .. وفوق ذلك فان الزواج من الاقارب كان منتشرا فى بلاد غير مصر فى ذات الوقت .

اما عن زواج الملوك باخواتهم فالتاريخ لا يذكر لنا الا حالات استثنائية تعد على اصابع اليد الواحـدة ، وكان الملك يضطر الى الزواج من اخته غير الشقيقة للحفاظ على العرش داخل اطار اسرة الملكية .

اما عن الأمثلة التى ذكرتها المؤلفة هنا عن سنفرو ومنكاورع من الدولة القديمة فنقول ان الملكين المذكورين مضافا اليهمـا الملك خوفو هم ملوك الأسرة الرابعة التى كرهها خلفاؤها من ملوك الأسرة الخامسة وشنعوا عليها كما حدث للملك العظيم خوفو حين قالوا انه اجبر ابنته على ممارسة البغاء لتجمع له حجارة يتمم بها بناء هرمه الشهير .. وقـد روى هيرودوت ايضا (!!!) هذه الفرية البغيضة عن احد اغنى اغنياء ملوك مصر وأقواهم واشهرهم .. وهى فرية بلا ريب لا يعقلهـا احـد .

وقد حدث نفس الشيء للملك امنتحب الثـالث وابنـه اخناتون – الملكين اللذين ذكرتهما المؤلفة أيضا وهما ملكان من الأسرة الثامنة عشرة وصراعهما مع كهنة طيبة معروفة .. وهو الصراع الذى انتهى لصالح الكهنة الذين شنعوا أيضا على هذه الأسرة فيما بعد . اما رمسيس الثانى فقد حيكت حوله الأساطير مبالغة فى حجمه الجسمانى وفى طول عمره وعدد النساء اللاتى تزوجهن وعدد الاطفال اللذين انجبهم الى غير ذلك مما ينسج حول شخصيات عظيمة .

تعــدد الزوجات :

فى هذا الصدد تذكر ليز مانيش انه :

« لم يظهر أن تعدد الزوجات كان قاعدة واذا عرف عن رجل ان لديه عدة نساء ، كان هذا لا يشير فى الغالب الى انه متزوج منهن جميعا فى نفس الوقت .

ولمـا كان الزنا مكروها عموما فاننا لا نستطيع افتراض ان تعدد الزوجات كان عرفا سائدا » .

* * *

انطلاقا من المبادىء والأسس والاعراف السائدة نستطيع نحن افتراض ان تعدد الزوجات لم يكن عرفا سائدا فى مجتمعنا المصرى الذى تحت تعاليم الدين فيه الرجل على حسن معاملة الزوجة (الواحدة) وبذل الجهد فى ارضاءها والعناية بها وتوفير سبل معيشة كريمة لها . الا أن ذلك لا ينفى زواج الرجــل عدة مرات .

على أنه من المفيــد ان نعرض هنـا نبـذة عن تقـاليد الزواج السائدة فى المجتمع المصرى حينذاك .

كانت طقوس الزواج تتم حينذاك مثلما تتم حاليـا فى عصرنا هذا أى اننا نستطيع أن نقول اننا ورثناها مثلما ورثنا الكثير من حضارتنا العظيمة .

فقد كانت الخطوبة تتم عن طريق الأسرة . وكان لابد ان يكون الزواج عن قناعة وفى حضور شهود ووكيل عن الزوجة ويقوم االزوج بدفع مقدم صداق ومؤخر صداق للزوجة .. وتتسلم الزوجة قائمة بمحتويات منزلها .. وكانت هذه المنقولات من حقها ولها حق المطالبة بها فى حالة الطلاق .

وتتشابه أيضا حقوق المرأة فى الطلاق فهى تستطيع طلب الطلاق ان هى تنازلت للزوج عن بعض حقوقها لديه – وكان لها حقها الثابت فى ميراثه .

والزوج كان الأخ والزوجة هى الأخت هكذا كانا يدعوان بعضهما البعض تدليلا على الصلة الحميمة ، وكانت المرأة ايضا « سيدة الدار » كان هذا لقبها فى سالف الزمان ، ومازلنا نحن نقول : ست الدار أو « ست بيت » .

واليك عزيزى القارىء – هذه الأبيات التى كتبت فى الزوجة منذ عدة آلاف سنة فى مصر :

امرأتـه التى يحبهـا من قلبـه

ربـة بيتـه ، الكـائن الجميـل

التى تقول للعالم ، مرحبـا ، مرحبـا

زوجتـه المحبوبـة ، ربـة الظرف

حـلوة الحب

لها فاه جميـل ، وطـلاوة حـديث

ورأى صـائب فى تشـكيل الكـلم

فكل ما فاهت به شفتاها كان حقيقـة

زوجة فاضلة فى المدينة ، ممدوحـة

تكـرم كـل انسـان

عذبة الحديث ، تروى ما يحبه الانسان

وتفعـل ما يحبـه كـل العـالم

* * *

هوامش الفصل الثانى

١ ــ بنى حسن : تقع بالقرب من مدينة المنيا .

٢ ــ بوطو : مكانها الآن هو تل الفراعنة .

٣ ــ اروترى بولس : الجبل الاحمر .

٤ ــ رمسيس الثانى : احد ملوك الأسرة ١٩ التى استمر حكمها من عام ١٣٢٠ حتى عام ١٢٠٠ قبل الميلاد .

٥ ــ امنحتب الثالث : وهو والد اخناتون ، وأحد ملوك الأسرة ١٨ التى حكمت مصر فيما بين ١٥٨٠ ، ١٣٢٠ قبل الميلاد .

٦ ــ سنفرو : والد الملك خوفو ، واول ملوك الاسرة الرابعة التى بدأ حكمها فى عام ٢٧٢٣ وانتهى عام ٢٥٦٣ قبل الميلاد .

٧ ــ منكاروع : احد ملوك الأسرة الرابعة وصاحب الهرم الثالث بالجيزة .

* * *

الفصل الثالث

الاثارة لغة وصورة

وينتقل بنا الكتاب الى فصل آخر يعالج فيه مسألة الصورة الحسية المثيرة حيث تقول السيدة ليز :

« وكان عندهم (أى المصريين) أيضا نوع من لغة الشفرة فى الفن التشكيلى ..

الا أن الصور فى المعابد والمقابر لها معنى شعائرى أو سحرى ، فقد صوروا الاله مين[1] على سبيل المثال وصنعوا له تماثيل لها ذكر منتصب • وبالرغم من ذلك لم يعتبروا ذلك غير لائق على الاطلاق ... » •

وتستطرد السيدة ليز فتقول :

« اما المناظر المثيرة فى الفن المصرى فلا تظهر الا نادرا جدا ومنها منظر صغير فى قبرة من الدولة الوسطى يظهر امرأة مع رجل فى الفراش • وقد اختفى هذا المنظر الآن من على الحائط ، الا أنه ما زالت هناك نسخة منه صنعت فى منتصف القرن التاسع عشر وللأسف فقد بقى معنى المنظر غير مفهوم كما أنه ليس ضمن منظر أكبر ، وفى احد المنازل من قبل الميلاد كان هناك جدار منزل مزدانا بصور تظهر عمليات ممارسة الجنس ، ومن الجائز انها كانت جرافيت فقط أو جزء من زينة الغرفة ، على

كل حال كانت هناك ثمة محاولة لاستخدام هذه الصور للاشارة الى ان هذا المكان منزل للمتعة ، الذى يمكن مقارنته باطلال غرف منزل آخر سابق •

وقد اكتشف علماء الآثار فى بداية هذا القرن اربع غرف لمنزل طينى بسيط بسقارة وفى بعض الغرف عثر على مصاطب من الطوب مقامة على الجدران وقد زينت هذه الجدران بصور للاله بيس[2] • وكما سنرى فالاله بيس موجود حيث المتعة الجسدية •

وخلاف ذلك امكن استخراج حوالى ٣٢ تمثالا لأعضاء ذكرية ، من بين الانقاض •

وقد كانت غرف بيس هذه من أجل الفتيات وزبائنهن ، أو انها كانت من المحتمل عبارة عن ملجأ لهؤلاء الذين يفتقرون الى قوة التناسل •

ثم تنتقل بنا ليز مانيش الى نقطة بل نقاط اهم تستحق ان نتوقف عندها ونرد عليها .. فتقول :

« اما فى عصر العمارنة فقد غير اخناتون الحياة الدينية والفنية تغييرا جوهريا فقد صور نفسه وعائلته فى مواقف لم يجروء ملك غيره على تصويرها • فقد صور نفرتيتى وهى تداعب ذقن الملك أو تقبله بينما تضع على رقبته باقة من الزهور ، وقد اكتشف حديثا منظر يصور الزوجين الملك والملكة .. واقفين أمام سرير وقد تشابكت ذراعاهما •

وهذه المناظر ليست لها علاقة بالعرى بل بطقوس معينة ، ولكن من المؤكد أن الفن المصرى فى ذلك العهد كان شهوانيا أكثر مما سبقه ولحقه من عصور (!!!) » .

كان لابد ان نتوقف هنا لنتعجب من حديث ليز مانيش عن عصر اخناتون بهذه الجراة وبالذات من عبارتها الأخيرة حيث تقول انه « من المؤكد » أن هذا العصر بالذات كان شهوانيا .. من أين جاءك هذا اليقين يا سيدتى .. هذا اليقين العلمى الذى لا يشوبه شك ما .. اين أدلتك على ذلك .. ولو كان عندك لكنت ابرزتيها خصوصا وأنت تضعين مؤلفا عن الجنس .. لو كان عندك نصوص أو صور لكنت عرضتها ليس فقط كوثائق تدعمين بها كلامك ولكن لاثراء كتابك بمعلومات هى من صميم الموضوع ..

وقد رأيت أنه من الواجب التعرض لموضوع اخناتون — موجزا — حتى يتسنى للقارىء رؤية صورة ما عن هذا الرجل وعصره :

فى حوالى ١٣٧٠ قبل الميلاد صار امنحتب الرابع (اخناتون فيما بعد) حاكما لمصر وكان قبل ذلك قد اشترك فى الحكم مع أبيه امنحتب الثالث — وهو واحد من أعظم ملوك مصر — والذى يقال ان ديانة آتون التى بشر بها اخناتون — كانت موجودة فى عصره وعلى كل فالديانة التى دعا اليها اخناتون لم تكن جديدة ولكن يمكن القول انه اعاد اكتشافها مدفوعا بعدة عوامل من أهمها

استفحال خطر كهنة الاله آمون فى طيبة عاصمة الملك . ولنا ان نتصور مبلغ قوة هؤلاء الكهنة ومدى تهديدهم للعرش ونظام الحكم ان علمنا أنهم كانوا يستحوذون على ٧٥٪ من الاقتصاد المصرى . وقد دفع ذلك الملك الى ان يهجر طيبة ويؤسس عاصمة أخرى عرفت بأخيتاتون .

ويقال ايضا فى أسباب دعوة اخناتون الجديدة أنه — أى الملك — شاء أن يقرب مفهوم العقيدة المصرية — البالغة التعقيد — الى افهام الشعوب الأجنبية ، فجعل الاله (آتون) فى شكل محسوس هو قرص الشمس تخرج منه اذرع تنتهى بأيادى كما يذهب البعض الى اراء أخرى .. ولكن اليس من الأفضل ان ندع اخناتون نفسه يصف لنا ربه هذا ..

يقول اخناتون واصفا آتون بأنه :

« رع الحى حاكم الافقين ، رع المتألق اسمه فى الافق ، الأب الذى تجلى ثانية فى شكل آتون » .

وفى موضع آخر يقول اخناتون الذى كان يصيغ — بنفسه — شعرا جميلا ، واصفا أيضا ربه :

« ايها المشرق بالضياء فى السماء آتون الحى ، بادىء الحياة ، لما تبزغ من الشرق تملأ الأرض بهاء أنت الجميل حقا ، العظيم المشرق ، أنت المتعالى فوق الأرض كلها ، نورك يلف الكون » .

وفى عبارة جميلة رقيقة يناجى اخناتون ربه :

« ترسل نورك ، فتنقشع الظلمة ، ويصير القطران فى عيد . ينهضان مستيقظين فأنت الذى نبهتهما فغسلا اطرافهما ولبسا ثيابهما ورفعا اياديهما اجلالا لمقدمك » .

ويقول اخناتون :

« ايها الاله الواحـد ، يا من لا شـبيه له خلقت الأرض بمشيئتك ، كنت ولم يكن معك شىء ، وما من دابة تسعى ، أو طائر يحلق بجناحيه الا وأنت خالقه ، خلقت الناس جميعا ، وكل الانعام صغيرا وكبيرا » .

وانشغل اخناتون بفلسفة دينه الجديد وعمل على صياغة فكره بنفسه شعرا جميلا ، ولذا نستطيع القول ايضا بأن اخناتون كان فنانا وذلك بشهادة كبير النحاتين فى عصره ، اذ قال بأنه تلقى علمه على يدى اخناتون نفسه ونخرج من ذلك ان اخناتون كان له وجهة نظر فنان فى النقوش والتماثيل ـ التى عثر عليها علماء احتاروا فى تفسيرها حيرة شديدة ومبعث هذه الحيرة الصورة التى شاء اخناتون ان يظهر بها ، فهو على عكس ملوك مصر يظهر نحيلا طويل الوجه مترهل البطن عظيم الفخذين .

وما زال الباحثون يضربون اخماسا فى اسداس فى هذه الهيئة الغريبة . وللأسف شـاء معظمهم ان يرمى هـذا الملك الفليسوف ، والشاعر ، والفنان ، بتهم منها المرض والشذوذ .

والموضوع بالنسبة لى ـ من وجهة نظرى المتواضعة ، يتلخص فى أنه وجهة نظر فنان متأمل شاء ان يغير فى الدين والمجتمع والفنون واللغة وقد قال السادة العلماء عنه كما نستشعر ذلك ايضا عند ليز مانيش ـ انه مخنث ونقول : كيف يتـأتى ذلك واخناتون قد انجب من زوجته (نفرتيتى) ست بنـات . اما دافعهم الى ذلك فكان عدة تماثيل لهذا الملك المصرى عثروا عليها بدون أعضاء جنسية ، وأقول ان اخناتون ذلك الفنان المرهف لم يشأ ان يضع أعضاء جنسية لأنها كانت ستشوه تماثيله الضخمة ذات الافخاذ الممتلئة .

ولـما يشأ ذلك لأنها كانت ستتحطم على الارجح ، وهو فى ذلك لم يخرج عن فكر النحـاتين المصريين فى رغبتهم فى الاحتفاظ بالتمثال سليما غير متحطم ، ولو ان اخنـاتون صنع لتماثيله الضخمة أعضاء جنسـية لكانوا قالوا عنـه انه وحش جنسى كاسر أو كما قالت السيدة ليز ان عصره كان شهوانيا ..

وهناك شبه اجماع من الباحثين فى أن اخناتون قد رجع عن عقيدته ودعوته وتاب واناب .. الخ ، وهم ينسون ـ أو يتناسون ان خليفته توت عنخ أمون قد تولى بعده وهو لا يزال على دين سلفه اخناتون ، وهو طفل لم يتعد التاسعة من عمره فكيف يثبت هذا الطفل على دين تخلى عنه الراعى الأول والاوحد له والذى كان ملكا حاكما حتى مات .

وكان ان مضى اخناتون فى دعوته لاله الواحد – كما كان يناديه – فأمر بابطال عبادة كل الالهة الأخرى • وقصر العبادة على اله واحد فقط فى البلاد جميعها ••

ومات اخناتون • دون ان يترك تمثالا واحدا لهذا الاله بعد ان حكم مصر ١٧ عاما وبقيت زوجته نفرتيتى مخلصة لدينه ثابتة عليه •

* * *

وتسترسل السيدة ليز فى نفس السياق السابق فتقول :

« وبالرغم من ان المصريين لا يحبون اظهار حياتهم الخاصة فى العلن ، الا أن ذلك لا يعنى غياب الاثارة الجنسية من الصور المرسومة وفى الغالب كان يتم التعبير عن الاثارة بالرمز •

وهناك بمقابر الموظفين الكبار مناظر ورسوم على الجدران تشير الى أنشطة عديدة وبجوار مناظر الآلهة والجنازة والدفن يظهر ما يسمى بمناظر الحياة اليومية والتى تعرض صاحب المقبرة اثناء العمل والصيد والقنص أو اثناء مراقبته للاعمال الزراعية أو مع النساء فى الحفلات وكان المرء يجهز مقبرته ويتحفها بالزخارف حتى يضمن الحياة فى العالم الآخر ولجعل استمرار الحياة ممكنة بالنسبة للمتوفى فقد كان أهم شىء هو ضمان عدم نفاذ مؤنته من الغذاء والاهتمام بطقوس تمكنه من تناول الطعام وتحول القرابين الى حقيقة واقعة وكذلك ايضا المواد المسجلة فى قوائم ، وترمز الأعمال الزراعية الى الامداد الا نهائى بالحبوب •

اما التصورات الأكثر طموحا بالنسبة للبعث فى العالم الآخر فكان يعبر عنها بلغة الشفرة والتى كانت تستخدم ايضا فى الحياة اليومية ، وهذا ينسحب بصورة خاصة على ممارسة الجنس •

فالصور التى تظهر المتوفى اثناء الصيد والقنص فى المستنقعات كانت لا تعنى قضاء وقت الفراغ فقط ••

وللمتوفى ساعة حظ دائما ، فهو يصطاد سمكتين مرة واحدة ولا يصطاد أبدا سمكة واحدة ومعنى هذه الصور يكمن فى هاتين السمكتين بالذات من نوع يرمز به المصريون الى البعث فهذا النوع من السمك يخبىء صغاره فى تجويف فمه اذا رأى خطرا ما ثم يلفظها سالمة بعد ذلك فتبدو وكأنها ماتت ثم اعيدت الحياة مرة أخرى •

وفى القارب وعلى يد احدى النساء تجلس بطة صغيرة أو أوزة وهذا الطائر له معنى جنسى وهو يمثل الجنس عند النساء فقط وقنص الطيور بالحراب ايضا له معنى رمزى وان لم يكن بالضرورة جنسيا برغم شكل هذا السلاح •

وبجانب الطعام واللغة كان قنص الطيور شيئا يحذقه اله الموتى « اوزوريس » بعد موته •

ثم تنتقل السيدة ليز الى موضوع هام سيكون لنا عليه تعليق فتقول :

« وهكذا يرسم صاحب المقبرة هذه المناظر ليستطيع ممارسة نشاطه فى العالم الآخر كذلك •

وتظهر مناظر المـآدب بوضوح الولائم بصورتها الكاملة بحيث يكون صاحب المقبرة وزوجته هما المضيفين •

وهذه المناظر مليئة بالرموز وكلها تشير الى نفس الاتجاه المؤدى بلا ريب الى المعنى الاعمق لمثل هذه المناسـبة فالرجال والنساء يجلسون فى صفوف ، ومن المـألوف ان يظهر المضيفان بصورة مختلفة عن المدعوين •

ويقوم الخدم بتقديم الجعة والنبيذ ، فى حين أنه لا يؤكل شىء على الاطلاق ويضع المدعوون على رقابهم باقات من زهر اللوتس وعلى شعرهم المستعار يضعون مراهم مخروطية الشكل مدمجة وبمرور الوقت يذوب المرهم فينشأ عبق جميل من التوابل والعطور •

وترتدى السيدات ملابس شفافة تظهر صدورهن ومعالم السـيقان والارداف • اما الشـعر المسـتعار فيكون كثيفـا وذا خصلات كما تقتضى الموضة • وتمسك النساء بأيديهن زهرة اللوتس أو براعم أو لفاحا ، واللفاح هو رمز الحب ، ويعتبر دواء مثير للشبق • وزهرة اللوتس لها نفس معنى ثمرة الرمان عند اليونان والوردة عند الاوربيين •

وتشير المراهم الى الدور الهام الذى يلعبـه الزحيق فى الخيال الجنسى لدى المصريين كما كان للاستعارات دورها الهام :

«مناظر الخادمات اللاتى تصببن المشروبات للضيوف تعبر عن الاستثارة الجنسية فمعنى الصب والانزال كان يعبر عنه بكلمة واحدة هى « ستى » وهذه الكلمة تعنى ايضا قذف وهكذا يمكن ان تتضمن مناظر القنص التى يتم فيها « الرمى » معنى جنسيا •

كما ان عدم تزيين المقابر بصور لمنـاظر الحب بين البشر لم يكن على الارجح قضية تتعلق بالآداب (!!!) وانما هو الاعتقاد بأن القوة السحرية الكامنة بالصورة يمكن ان تخـرج من تحت السيطرة وهو ما كان سيعتبرونه شيئا فظيعا وضارا خاصة فى مجال الجنس •

وفى معظم مناظر المـآدب نرى قردا صغيرا جالسا تحت مقعد المضيفة ، ويمكن ان يكون القرد حيوانا منزليا الا أن تواجده فى الصورة لابد أن يضيف اهمية أخرى •

فالذى يوجد فى الصورة لا يكون ظهوره صدفة أو بغرض الزينة فقط •

اما التفسير فهو يسـير لأن ظهور القردة احيـانا يرتبط بالجنس على نحو مباشر أو غير مباشر •

وتضيف السيدة ليز :

« اذا كان المصريون يعتقدون بوجود قوى سـحرية فى الصور فلا غرو أن تكون بعض الادوات قد لعبت دورا فى الاثارة

فمن خلال تعاويذ سحرية أو تماثيل صغيرة كان يأمل المرء فى كسب حب امرأة أو فى الحفاظ على المقدرة الجنسية فى العالم الآخر .

وكانت حتحور [٣] آلهة الحب والموسيقى معبودة سيستروم ومنات اللتين كانتا آلتين موسيقيتين تستخدمان فى الطقوس المعبدية وكذلك فى الحياة اليومية .

وأثناء المآدب كانت الفتيات الراقصات يحدثن هذه الصلصلة المثيرة وكن لا يلبسن الا شريطا حول خصورهن وقد علق بالشريط احجار مجوفة تحتوى على لآلىء ، فاذا هزت الفتيات خصورهن احدثن صوتا مثيرا .

وكانت النساء المصريات يبرزن جمالهن بمساحيق التجميل . فالطلاء الأسود يظهر عيونهن الداكنة وكان احمر الشفاة والخدود يؤدى نفس الغرض .

وكان مرود المراهم يتخذ شكل الكلمة المصرية « عنخ » التى تعنى « حياة » بينا كان المقبض يزين بصورة فتاة ، وهذه الفتاة تعزف على عود مخترقة احراش البردى بقارب . ويزدان القارب والعود برأس بطة ، أما البواتق المصنوعة من المرمر الازرق (المكاحل) فكانت تزدان بالقرود وهناك مرود آخر على شكل فتاة تسبح ممسكة ببطة بينما البطة تحتوى المرهم فى جسمها المجوف .

وعلى احدى البواتق المصنوعة من القيشانى اجتمعت كل رموز الاثارة تقريبا : فهناك عازفة عود جميلة تقبع على وسادة . بينما يلعب قرد فى حزام على خصرها وعلى فخذها وشم « بيس » الرامز لحرفتها . وعلى شعرها المستعار الكثيف يوجد الدهان المخروطى الشكل وزهرة اللوتس ، وزهور أخرى تتدلى من مرفقيها وقد زين العود برأس بطة .

ومن المحتمل أن المصريين كانوا يحتاجون الى كل العناصر لاثارة الحواس الجنسية . وهذه العناصر تتدرج تحت توصيف مختلف تماما عن العناصر الرمزية المشيرة الى الرغبة بتحفظ .

واثناء العصور الفرعونية كانت توجد الاوركسترا اثناء المآدب وقد ذكرنا هنا المغزى المستتر وراء اقامة هذه المآدب (!!) وكان من النادر ان يغيب العود أو القيثارة فى اللحظات الخاصة (!!) فالحب والموسيقى كانا دائما متلازمين (!!) » .

هذا هو عرض ليز مانيش لعدة موضوعات هامة كان أولها : العرى ، الذى ورد عدة مرات بهذا الكتاب . وقد تراءى للسيدة ليز أن العرى مرتبط بالجنس والعهر ، ورأيها هذا كان من المحتمل ان يكون صحيحا لو أنه ارتبط فقط ببعض القصاصات — القليلة جدا — أو ارتبط بصورة أو اثنتين على جدار منزل بسيط ، ولكن .. أن يشمل هذا الرأى الفن المصرى كله ، ويمتد ليدمغ حضارة بكاملها — هى اعظم حضارة عرفها الانسان على

الاطلاق — فهذا ما نرفضه ونعتبره تجنيا على حقيقة واضحة كالشمس . وازاء ذلك نجمل رأينا فى النقاط التالية :

أولا : ان السيدة ليز تبنى ارائها — بالنسبة للعرى — على بعض القصاصات التى رسمها مراهقون موجودون فى كل زمان ومكان ، وعلى قليل من الصور والتماثيل ، وتترك أو تتجاهل ملايين الصور وملايين التماثيل تثبت كلها — يقينا — أن الحشمة والوقار والمحافظة هى سمات أصيلة للشعب المصرى .

ثانيا : ان (بعض) الصور على (بعض) المقابر والمعابد والتى يظهر فيها الساقان أو الصدر لا علاقة لها اطلاقا بالعرى الجنسى . فنحن هنا امام موضوع فنى (الصورة) داخل منشأة دينية (المقبرة والمعبد) والانسان مهما كان متدنيا ومهما أعمته المراهقة لا يمكن ان ينظر الى لوحة فنية فى مكان مقدس نظرة جنسية ناهيك عن العالم أو الباحث .

ثالثا والعرى فى بعض هذه الصور له أسباب عديدة ترجع الى : حرص المصرى — فى هذه العصور على اظهار معالم الجسد ، وهذا الحرص اساسه عقائدى خالص . ولذا كانت الصورة عبارة عن وصف تشريحى لجسد الانسان تنتفى معه أية اثارة أو تلميح جنسى .

وكذا حرص الفنان المصرى ايضا على اظهار براعته فى تصوير الجسد . وقد يرجع ذلك ايضا الى محافظة المصريين على تقاليد الرسم القديمة التى كانت تصور البشر عراة .

وقد تناولت ليز مانيش ايضا موضوع المآدب والحفلات .

وقد تضمن هذا الموضوع عدة عناصر مثل الملبس والزينة والرقص والموسيقى .

نعلق عليها كل على حدة وبالترتيب المذكور سابقا :

اما عن الملابس فنقول : أنه لم يكن هناك زى بعينه نستطيع ان نقول عنه أنه زى مصرى . فقد اختلفت الملابس باختلاف العصور الزمنية ، وكذلك باختلاف المناسبات وكذلك باختلاف الطبقات الاجتماعية والوظائف .

وبالرغم من ذلك هناك بعض السمات العامة التى نستطيع ان نجملها فى ان المصرى كان يستخدم رداء بسيطا ادخل عليه من حين لآخر بعض التعديل بين طول وقصر وزينة .. الخ .

وكانت الملابس تصنع من النبات ثم غلبت صناعته من الكتان . اما اللون الغالب فقد كان اللون الأبيض .

وكانت المرأة ترتدى ثوبا طويلا يصل فى بعض الاحيان الى الكعبين ، وقد يتسع حينا ، ويضيق حينا . وكانت ثياب المرأة متنوعة فمنها ذات الحمائل ومنها ذات الكتف العارى ، أو بدون اكتاف ، أو المعقود فوق الصدر ومنها الضيق أو الفضفاض ومنها البسيط وكذلك المزخرف .

وكذا اختلف زى الراقصات والراقصين من عصر لعصر ولكن لطبيعة الحركة والأداء كان على الصعب على الراقصة أو الراقص — ارتداء الملابس الطويلة .

وقـد أحب المصريون التزين – نسـاء ورجالا – وقد استخدمت المرأة المصرية وسـائل عديدة للزينـة فقـد تنوعت تسريحات شعرها من قصير الى طويل الى مسترسل أو مجدول على شكل ضفيرة واحدة أو عدة ضفائر وكذلك استخدمت الشعر المستعار (الباروكة) ، كما استخدمه الرجال ايضـا • وكانت المصرية تكتحل وتستعمل احمر الشفاة • وقد شغف المصريون بالعطور حتى انهم كانوا يقدسون البخور • وكانت العطور تقدم قرابين للاله وتوضع مع المتوفى فى قبره • وكان اجدادنا – رجالا ونساء – مولعين بالتزين بالحلى والمتحف المصرى ممتلىء بقطع الحلى النفيسـة المصنوعة بدقة متناهيـة من الذهب والفضـة واللازورد والنحاس والعاج •• الخ •

وكانت المرأة المصرية تضع الحلى على رأسـها وعنقهـا وصدرها وذراعها ويدها ووسطها وقدمها •

ولم يقتصر التزين على المجوهرات فحسب بل امتد ايضا الى النبات فقد استخدم المصريون الزهور وصنعوا منها قلائد وضعوها على رؤوسهم وصدورهم ، وقد تساوت جميع طبقات الشعب فى التزين بالزهور حتى ان الصيادين كانوا يخرجـون للصيد وقد تزينوا بها •

وقـد ذهبت السـيدة ليز الى أن لزهـرة اللوتس معنى جنسيا ، ولكننا نرى المصريين يسـتخدمون زهـرة اللوتس فى

مناسبات عديدة لا تمت للجنس بصلة ، فضلا عن اتخاذهم لنفس الزهرة رمزا دائما لجنوب مصر •

وكانت الراقصة – مثلها مثل سائر المصريين – تتحلى بزهرة اللوتس • وهنا نتوقف لنقول لليز مانيش ان الرقص فى مصر لم يكن رقصا خليعا هدفه اثارة الغريزة الجنسية بل كان للرقص مهمة معنوية راقية • حتى أنه كان هناك رقص دينى ما زالت صوره منقوشة على جدران المعابد • وكان النساء والرجال يشاركون فى الاحتفالات العامة والاعياد والمناسبات بالرقص الجمـاعى تاكيدا على المعنى القومى والحس الجمـاعى المشترك لافـراد الشعب •

وكانت الأسرة المصرية تحرص على تعليم الرقص لابنائها ، ايمانا منها بدور الرقص فى تنقية النفس وصفائها وذلك على العكس تماما مما قالت به السيدة ليز •

وكما عرف المصريون الرقص الدينى الشـعائرى عرفوا ايضا الرقص الترفيهى اثناء المـآدب والحفلات وهـو رقص جماعى تعبيرى يقترب كثيرا من الباليه • وكان المصريون من أول الامم التى عرفت ايضا الرقص الرياضى •

ومعظم هذه الانواع من الرقص منتشرة فى انحاء العالم – واوروبا ايضا – دونمـا ان يقول عنها احـد – كما قالت ليز مانيش الاوروبية – انها تثير الرغبة الجنسية •

ولكى ندرك قيمة الرقص فى مصر ـ حينذاك ـ علينا ان نمعن النظر فى مقولة الحكيم المصرى آنى :

« ان الرقص والغناء غذاء للاله » .

انها لمقولة حكيمة ، غنية عن أى تعليق .

واضيف هنا ايضا عبارة قالها اجدادنا ، وكانهم كانوا يستشرفون المستقبل فقالوا وكأنهم يدافعون عن مبادئهم :

« نحن لا نرقص لاحد ، أو نحيى أحدا سوى روحها » .

والمقصودة هنا هى المعبودة حتحور راعية الحب والرقص والموسيقى التى يصفونها فيقولون :

« عندما تفتح عينيها ، الشمس والقمر ، تفرح قلوبنا برؤية النور » .

صدقتم ، انه نور ، نور عينى حتحور المصرية ، نور الشمس والقمر مجتمعين .

ولكننا حين نعود للسيدة ليز نجدها تقول :

« ان الموسيقى والحب متلازمان » وهى بذلك تؤكد على رأيها فى « ان المصريين كانوا يحتاجون الى كل العناصر لاثارة الحواس الجنسية (!!) واقول لها : ان الموسيقى صنو للغناء والرقص فقد كانت الموسيقى ايضا تستخدم فى شتى المجالات ـ ليس منها اثارة الحواس الجنسية ـ .

لقد كانت القصور والبيوتات الكبيرة تضم الى جانب الراقصين والراقصات ، الموسيقيين ايضا الذين كانوا يشاركون بالاتهم العديدة فى المناسبات الدينية ايضا . وقد عرف اجدادنا آلات موسيقية كثيرة منها : الطبل والدف والمزمار والناى والعود والكنار والاجراس والصنج والجلاجل وغيرها واستطيع ان ازعم ان حب الموسيقى أو الايقاع عموما يجرى فى دم المصرى فالمصرى منذ فجر التاريخ وحتى اليوم ما زال يغنى وينشد فى الاحتفالات الدينية على ايقاع موسيقى .

والعامل المصرى مشهور بغنائه اثناء العمل بل اكثر من ذلك ان البائعين كانوا ينادون على بضاعتهم بالغناء ... ولا يزالون .

* * *

هوامش الفصل الثالث

١ ــ الاله مين :

اله الخصوبة والحصاد ، كان يصور على شكل رجل ذى قضيب منتصب ، وكان يعبد فى تنط بصعيد مصر ...

٢ ــ بيس :

اله قديم قد يكون غريبا عن مصر دخــل اليها فى عصر الدولة الوسطى اى منذ عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد .

وهو يمثل على هيئة انسان قصير القامة (قزم) له لبدة اسد تحيط براســه وله ذيل حيوان .

وكانت مهمته تتلخص فى الرقص للاله . وقد عثر على صوره على جدران البيوت والمرايات واوانى العطور وعلى الأســرة .

٣ ــ حتحــور :

الهة الحب والجمال والرقص والموسيقى كما ينسب اليها اختراع بعض الآلات الموسيقية وهى ابنة رع التى تقضت الاسطورة ان تحولها الى بقرة فنجدها مصورة على هيئة بقرة او امراة ذات وجه بشرى لها اذنا بقرة .

وقد اتخذت ايضا رمزا للامومة الحانية ، فهى التى قامت على رعاية حورس وارضاعه طفلا ثم صارت زوجته فيما بعد ، ولذا نجد ترجمة اسمه احت حور ليس الا : مقر او سكن حورس .

وقد كانت حتحور ايضا سيدة شجر الجميز وكان الناس حينذاك يعتقدون أن ارواح الموتى . التى تتحول الى طيور ــ تجد فى ظــل شجرة الجميز حاجتها من طعام وشراب .

وما زال لحتحور معبد شامخ فى دندرة بالقرب من مدينة قنــا بصعيد مصر .

الفصل الرابع

الشـــــذوذ

هذا الفصل هو أعجب فصول الكتاب وهو ايضــا اضعف فصــوله .

وقد تناولت السيدة ليز مانيش موضوع الشــذوذ تحت عناوين مختلفة متفرقة مثل الشذوذ الجنسى « وممارسة الجنس مع الحيوانات » « وممارسة الجنس مع الموتى » أما أنا فقد فضلت أن أجمع هذه المواضيع تحت عنوان واحــد ألا وهــو « الشذوذ » وذلك نظرا لتشابه هذه المواضيع فى خروجها عن المــألوف .

وقد تناولت السيدة ليز مانيش مسألة الشذوذ الجنسى بين الرجل والرجل والمرأة والمرأة فى مصر فى العصــور القديمــة فقالت :

« من الناحية النظرية نجد المصريين قد عرفوا أنواعا عديدة من ممارسة الجنس ، أما ما مارسوه منه فى الواقع فقد أخفته المصادر الى حد بعيد وهنــاك أمثلة قليلة جــدا (!!) تدل على ممارسة الشذوذ الجنسى .

وقد كان لواط الرجل بالرجل بمثابة عمل عدوانى يتم من خلاله اذلال الغير • وطبقا لكتاب الموتى يكون الامتناع عن ممارسة الشذوذ الجنسى من أحد الفضائل » •

هكذا كان تقديم ليز مانيش لهذا الموضوع وهو مدخل بسيط — لا يستند الى دعم وثائقى لموضوع على حد ما من الاهمية والخطورة ، فالسيدة ليز تقر ان المصادر قد اخفت أو سكتت عن ذكر الشذوذ الجنسى ، وهذه مغالطة — قد لا تكون مقصودة . اذ أن المصادر لم تذكر هذا الموضوع لواقع طبيعته فهو موضوع شاذ والشاذ — أى الخارج عن القاعدة — لا يذكر الا نادرا •

ثم تؤكد ليز مانيش ذلك مرة أخرى بان الامثلة على ذلك قليلة جدا واقول لها بالطبع يا سيدتى أن الامثلة لابد أن تكون قليلة جدا ، وأضيف ان الشذوذ الجنسى ما زال قليلا جدا حتى الآن • والابتعاد عنه بالطبع يعد فضيلة منذ فجر الحضارة — بشهادة وثائقية عظيمة هى كتاب الموتى — وحتى الآن •

ولكن السيدة ليز لامر ما فى نفسها — قد يكون الدافع خلفه هو الاستطراد فى الموضوع تذهب الى عكس ما ذكرته سابقا فتقول :

« اما الرسوم المصورة فانها تحمل معنيين ففى تلك الصور لا يمكن التعرف دائما على شخصية العشيقين من ناحية النوع » •

انه تناقض واضح وقعت فيه ليز مانيش فبينما تؤكد أن الوثائق لم تذكر الشذوذ الجنسى تذكر ان هناك صورا — أية صور لا تذكر لنا — تدلل على ذلك •

ولنا أن نسألها اية صور هذه التى لم تستطيعى فيها الفصل بين الجنسين والتفريق بين الرجل والمرأة بينما المعروف عن الرسم المصرى انه اعتنى بصورة عظيمة بتحديد الملامح الشخصية بحيث يمكننا من أول نظرة التفريق بين الرجل والمرأة وبين الاله والملك وبين أفراد الشعب العاديين وبين الكهنة الخ ••• ولذا لست ادرى — بحق — لماذا تفوهت السيدة ليز بهذه العبارة الغريبة البعيدة تماما عن الواقع والمشوبة بقصر النظر الحاد •

عموما ، تستطرد ليز مانيش قائلة :

« وهناك اشارة الى الشذوذ الجنسى فى احدى القصص التى يقفز فيها الاله « ست » على الالهة « عنات » المرتدية لملابس تشبه ملابس الرجال » •

لو أن السيدة ليز كانت تتكلم عن الاغتصاب لقلت أن المقال هنا يطابق الحال ، ولكنها تتكلم عن الشذوذ الجنسى ، ونحن نرى أن ست الرجل يقفز على ظهر المرأة عنات ••• فاين اذن الشذوذ فى هذه الواقعة •

اللهم الا فى ارتداء عنات لملابس تشبه ملابس الرجال •• وهذا ليس بشذوذ على الاطلاق لان الالهة عنات •• وهى أجنبية

غير مصرية .. الهة محاربة فارسة ترتدى ملابس الفرسان .. ولكن السيدة ليز تقول أنها تلبس ملابس الرجال ..

وعلى كل حال فقد كان « ست » هو رمز الشر فى الحضارة المصرية فى عهودها القديمة .. اذن فالمصرى يعرف ويدرك تماما أن كل ما يأتى به هذا الاله ست هو فعل ممقوت بغيض محرم .. ولذلك كان الاحتجاج بان « ست » شاذ هو حجة فى صالح حضارة مصر وليس ضدها كما سنرى فيما بعد فى مقولة للسيدة ليز .

اما عن ممارسة النساء للشذوذ الجنسى فتقول ليز مانيش .

« اما ممارسة النساء للشذوذ فالدلائل عليها أكثر ندرة » .

بالطبع يا سيدتى .. اذا كنت بصدد الحديث عن الشعب المصرى المعروف عنه المحافظة الصارمة والمعروف انه صاحب اعرق مجتمع له أصوله وتقاليده فلابد أن يكون الشذوذ بين الرجال — قليلا جدا — ولابد أن يكون بين النساء أكثر ندرة .

ثم تخرج السيدة ليز من ذلك بالنتيجة التالية :

« ولكن من المؤكد أن بعض الناس عرفوا أن هناك شذوذا جنسيا بين النساء فقد ورد بكتاب الاحلام الخاص بالنساء :

« ان هى حلمت ان امرأة تضاجعها ، فلسوف يكون مصيرها بائسا » .

وهذا المثال الذى اوردته ليز مانيش يؤكد على معنى ان ممارسة الشذوذ الجنسى غير مقبول فى الفكر المصرى .. وذلك نراه فى المصير البائس الذى ينتظر المرأة التى تمارسه حتى وان كان ذلك يدخل فى نطاق الاحلام .

ثم تقول ليز مانيش :

« من الواضح ان بعض النساء — بالرغم اننا لا نعتبرهن شاذات — كن يرغبن فى ملامسة بعضهن البعض ، ففى احدى الصور تقبل أم ابنتها الناضجة على شفتيها (!!!) وفى الحفلات تعانق النساء بعضهن البعض (!!) ويظهرن لبعضهن البعض اشارات جنسية (!) .

تقول السيدة ليز انها لا تعتبر تلك النسوة — المذكورات فى العبارة السابقة — شاذات ولذا لنا أن نسألها لماذا اذن كان اصرار — ليز مانيش — على اقحام مثل هذه النساء فى موضوع يدور حول الشذوذ ..

كما أنه لو شاءت السيدة ليز التحرى والدقة لعرفت أن تقبيل المرأة المصرية لامرأة أخرى أو حتى الرجل للرجل — يتم فى عرض الطريق حتى الان ولا يرى أحد منا فى ذلك أى شذوذ ..

وتسترسل ليزمانيش قائلة :

« أما فى العصر المعروف بعصر العمارنة فقد كاد أن يختفى الفارق فى المظهر الخارجى بين الرجل والمرأة ، فقد كان نساء

ورجال الطبقة الموسرة يقلـدون الملك والملكـة بارتداء ملابس فضفاضة متشابهة تماما (!!!) وكانت رقيقة وشفافة للغاية .

ومن الواضح أن الجمال النموذجي لكلا الجسـدين كان واحدا حيث تتفق صورة الرجل مع صورة المرأة فقد تم تصوير الملك اخناتون وزوجته نفرتيتي بثديين صغيرين جامدين وخصر نحيف وارداف وافخاذ مستديرة مدمجة .

ولم يكن من السهل دائما التفريق بين الاثنين اذ كانت نفرتيتي تتحلى غالبا بتاج أو اكليل ومن المرجح أن لهذا الرسم اسبابا عقائدية (!) معينة .

فمن المحتمل أن الملك كان يرى فى ذلك توحد الذكر والانثى فى ذات الخالق .

ولك عزيزى القارىء أن تعود الى تعليقنا عن عصر اخناتون على صفحة (٣٦) .

أما عن شفافية ورقة الثياب فقد ذكرنا اسبابها قبل ذلك وهى سمة مشتركة فى العصور المصرية .. ولم ينفرد بها عصر العمارنة كما شاعت ان تؤكد ليز مانيش ولست ادرى — حقا — عن سبب الزج باسم اخناتون فى موضـوع يعالج الشـذوذ الجنسى .

ثم تنتقل بنا ليز مانيش الى موضوع آخر هو ممارسـة الجنس مع الحيوانات فتقول :

« صدم هيرودوت عندما علم ان الناس فى مصر يمارسون الجنس مع الحيوانات .

وقد قال : وفى زمانى وقع التالى فى هذه المحافظه . فقد عاشر الكبش المقدس امراة فى العلن وامام الجميع » .

هكذا ، وهل لنا أن نصدق مثل هذا .. هكذا قال هيرودوت الاغريقى وهكذا أكدت وأمنت على كلامه ليز الدانمركية — وعلينا نحن وعلى من قرأ هذا الكلام التافه — أن نصدقه بينما هيرودوت — المتجنى على مصر دون حق — يقول فى زمانى .. أى زمن يقصد .. هل يقصد خلال فترة الاربعة شهور التى قضاها فى مصر لو كان يقصد ذلك لقال رأيت أو شاهدت ولكنه لم ير شيئا من هذا الدجل والهزء والسخرية .. ومن الارجح أنه يقصـد فى زمانه أى فى عصره .. وهكـذا لا يكون الامر الا روايـة أخرى .. أو نكتة أخرى من الترجمان الذى شاء أن يسخر من السيد هيرودوت .. السائح الأجنبى .. وأنى لاضحك حين اتخيل هيرودوت — فى شكله الافرنجى — وقد اتسعت عينـاه وفغر فاهه ويقول لهذا الدليل السـاخر : عفـارم ثم ينقـده شيئا من المـال .

وتورد السيدة ليز موضوعا اخر وان كان غير واقعى الا انه يعز عليها ان تتركه دون كلمتين تبرز من خلالهما الشك فى أن الموضوع يمت للواقع بصلة .. والكلمتان هما على « الاقـل »

و « بالضرورة » ... وانى ارجو من القارىء الالتفات الى
هاتين الكلمتين فى تعليق ليز مانيش وهى تقول :

« ويورد كتاب الاحلام أنواعا مختلفة من التوحد بين
الانسان والحيوان ولابد أن هذا كان موجودا على « الاقل »
فى الخيال الجنسى وان لم يوجد « بالضرورة » فى الواقع ففى
الحلم يمارس الرجل الجنس مع الفئران البرية وطيور السنونو
والخنازير بينما تختار المرأة بين الفئران والخيل والحمير
والكباش والذئاب والسباع والتماسيح والثعابين والقرود وطيور
أبى منجل .. وفى الغالب تعتبر هذه الاحلام شؤما » .

هكذا كان رأى ليز مانيش : أن ممارسة المصريين للجنس
مع الحيوانات المذكورة فى الفقرة السابقة موجودة « على الاقل »
فى الخيال الجنسى أى انها تريد أن توهمنا أن هذه
الممارسات الشاذة كانت موجودة ايضا فى الواقع .. ولأن هذه
السيدة هى صاحبة هذا الرأى فلها اذن أن تخبرنا عن كيفية
ممارسة الرجال للجنس مع الفئران أو كيفية ممارسة النساء
الجنس مع الثعابين أو الصقور أو التماسيح هذا يا سيدتى خيال
فى خيال .. اضغاث احلام ومدى علمى أن الاحلام ــ أو بمعنى
أصح مثل هذه الكوابيس ليست مقصورة على شعب مصر
فحسب .. ولهذه السيدة أن تعذرنى حين اقول لها ان مثل هذه
الممارسات موجودة « على الاقل » فى خيالك انت وان لم تقومى
« بالضرورة » بممارستها .

أما عن ممارسة الجنس مع الموتى فتقول ليز مانيش :

« لمـا كان المصريون يحنطون موتاهم فقد نشأت اشاعات
حول اعتداء القائم بعملية التحنيط بالاعتداء على جثث سيدات
جميلات جدا .. ومرة أخرى نجد معلومات جيدة عن هيرودوت
حيث يقول :

وكانوا لا يدفعون بزوجات العظماء بعد موتهن مباشرة الى
المحنطين . وكذلك كان الامر بالنسبة للنساء الفائقات الجمال أو
ذوات المكانة الرفيعة .. بل كانوا يتركونهن ثلاثة أو اربعة ايام
ثم يذهبون بهن بعد ذلك الى المحنطين . وكانوا يفضلون ذلك
خشية أن يضاجع المحنطون النساء وقد القى القبض على احدهم
وهو يعاشر امرأة متوفاة حديثا وذلك بعد أن قام مساعده بالابلاغ
عنـه » .

ونقول ان هذه حالة شاذة لا يصح الاعتداد بها أو ذكرها
كمثل للتدليل على حالة عامة فضلا عن أن ليز مانيش نفسها قالت
فى بدء حديثها عن هذا الموضوع بانه اشاعات ، ولكنها للاسف ــ
تتراجع بسرعة عن رأيها بعد ذلك بسطر واحد فتصفها بانهـا
معلومات جيدة .

ثم تورد حالة أخرى على لسان مؤرخ آخر يروى ان رجلا
مصريا احتفظ بجسد زوجته المحنط فى غرفة نومه ..

وكدأب السيدة ليز لا تترك الموضوع هكذا بدون تعليق يجعل القارىء يذهب دائما الى اتجاه بعينه فتقول : « وان كان ليس من الواضح لمـاذا فعل الرجل ذلك » .

ان كانت السيدة ليز تبغى الاستفسار فلنا أيضا ان نسأل ماذا يفعل رجل بجسد زوجته المحنط .. أى جسد ميت أجريت له عدة عمليات جراحية واستخرجت منه عدة اعضاء وتم حشوه بمواد أخرى ولف من قدمه الى رأسه تماما بالكتان بالله عليك يا سيدتى قولى لنا انت ماذا يفعل هذا الرجل بهذه المراة ..

هل لك أن تقتنعى بان احتفاظ هذا الرجل بجسد زوجته له معنى نفسى وليس جنسيا أى ان هناك عاملا روحيا .. وليس جسديا شهوانيا ــ دفع بهذا الرجل الى ذلك العمل .. هـذا المصرى ــ فى رأينا ــ أبى أن يفارق زوجته بهذه السهولة .. وشاء ان تبقى بجواره وفاء واخلاصا .. وحبا .

* * *

الفصل الخامس

نصل الآن الى الفصل الأخير من الكتاب وهـو يتنـاول موضوعا من أهم الموضوعات على الاطلاق الا وهو الأدب .. ولمـا كان موضوع الكتاب يدور حول الحب والجنس فقد كان بطبيعة الحال أن تنتقى ليز مانيش من الأدب المصرى ما يناسب موضوعها وقد تعرض كتاب الحب والجنس فى مصر (القديمة) الى الأدب المصرى فى مجـالات الحكمـة ونصـوص السحر والتقاويم والاحلام ثم القص والشعر .

وقـد رأيت كتـابة نبـذة عن الأدب المصرى اضافة الى ما كتبتـه ليز مانيش كـرؤوس لموضـوعاتها .. وكذلك وضعت فى نهـاية كل موضـوع هامشـا لمـا ورد به من معلومات تحتاج الى ايضاح .

ونقول عن الأدب المصرى فى عصوره القديمة :

لقد ظهرت اللغة المصرية الى الوجود كلغة مصورة نقلت حروفها الابجدية عن صور من الطبيعة وهذا ما يجعلنا نذهب الى أنه اذا كانت الحروف الابجدية المجردة تتخذ الصـورة فلابد وأن ينشأ بعد ذلك أدب يصور حالات واقعية وافكارا معنوية ثم يعقب ذلك بطبيعة الحال فن آخر يصور هذه الافكار

دراميا أى تمثيليا لذا لا نندهش حين نسمع عالم المصريات
هنرى برستيد وهو يقول فى كتابه « فجر الضمير » بعد قراءته
لاحد نصوص الآثار المصرية : « فلما قرأت هـذه الاعمدة
بترتيبها الصحيح بدأت تقص على قصة من أروع القصص ..
ويستطرد برستيد قائلا : « ومن يوم أن نشرت متن النقش
مع محاولة مبدئية لترجمته قضى العلماء فى البحث جيلا باكمله
حتى امكن الوصول الى فهم صحيح لنوع المتن ومحتوياته بل
لتحديد تاريخه » .

بعد ذلك يتضح لبرستيد على حد قوله ان :

« ذلك المتن من انتاج الحضارة المصرية فى منتصف الالف
الرابع قبل الميلاد وبذلك يكون قد أعطى لنا صورة من افكار
اقدم بنى البشر لم يصل الينا مثلها مدونة الى الآن » .

وبعد دراسة مقارنة يذكرها برستيد ــ يذهب احد علماء
المصريات المشاهير الى أن هذا النص هو عبارة عن مسرحية
مما يدفع برستيد الى القول بان هذا النص هو اقـدم نص
مسرحى أو على حد قوله : « هذه المسرحية التى تعد بلا شك
اقدم ما عرف من نوعها » .

كانت هذه شهادة احد علماء الغرب .. اوردتها ردا على
دارسى الأدب ونقاده ومنظريه حين يتجاهلون ــ عن عمد أو
جهل أو تقصير أدبنا المصرى الراقى .. ويرجعون نشأة الأدب

فى مجمله أو بعضه الى الاغريق .. ناسين أو متناسين أن مصر
قد بلغت قمة العلوم والأداب والفنون .

وانى فى حيرة من أمر هؤلاء حين يتصـدون للكتابة عن
الأدب فينكرون أدب مصر .. وهو أدب موجود ومسجل من
قديم الزمان .. أو كما يقول الاستاذ سليم حسن :

« والأدب المصرى معروف ومعلوم تاريخه من يوم نشأ
وحبا الى ان درج ونما ووصل لنهايته وهو أدب لا يقتصر على
النقوش الدينية وتدوين الحقائق والمقالات العلمية ، ولكنه
يتعدى ذلك الى مؤلفات لها قيمتهـا الأدبيـة تثبت ان المصرى
(القديم) كان يقدر الأدب ويتذوق حلاوته ويسحر ببيانه فى
وقت كان الاغريق وغيرهم من الامم القديمـة يهيمون على
وجوههم ويتخبطون فى ظلام الجهل » نعم يا سيدى ... هذا
حقا ... هذه حقيقة لها شواهدها قائمة امام اعيننا وان عمى
عنها آخرون ..

وقد تنوعت مجالات الأدب المصرى تنوعا شديدا ثريا من
أدب دينى الى أدب وصفى وتسجيلى وأدب علمى وأدب القصص
والشعر وأدب رسائل وأدب تعليمى .

ولـما كانت اللغة المصرية مصورة ــ وان كانت تطورت
بعد ذلك ــ فان ذلك يعطينا انطباعا باهتمام المصرى بالصورة
والزخرف .. وهو ما نجده شـائعا فى الأدب المصرى ...

والصورة والزخرف اللفظى يسيران جنبا الى جنب مع عمق المعنى ...

وحال الأدب المصرى لا يختلف عن حال آداب الأمم الأخرى اللاحقة فقد مر هو ايضا بعصور قوية ومزدهرة وكذلك بعصور متدهورة ومنحطة فمرة نجده جزلا معطاء ومرة متكلفا تغلب عليه الصنعة .

ومن اعظم الآثار الأدبية التى وصلت الينا هذه المسرحيه التى اشار اليها برستيد وهى تعود الى زمن ما قبل التاريخ أى قبل أكثر من ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد .

ومن اعظم الآثار الأدبية الشهيرة ... تلك النصوص المدونة على جدران هرم أوناس بسقارة وهى تعود الى زمن الى الأسرة الخامسة أى حوالى ٢٤٠٠ ق٠م وهى تمثل اقدم النصوص الدينية فى تاريخ البشرية .

ويشيد العلماء بالأدب المصرى فى عصر الدولة الوسطى (٢٠٠٠ قم) وقد كتبت فيه بلغة فنية رصينة — موضوعات أدبية شتى الا أن اشهرها كانت شكاوى الفلاح الفصيح .

وقد ارتفع شأن الادب فى عهد الدولة الحديثة (١٦٠٠ ق٠م) شأنه فى ذلك شأن الحضارة المصرية التى وصلت الى اوج عظمتها واتساعها .

أما الكاتب — فى مختلف العصور التاريخية بمصر — فقد كان يحظى بمكانة عظيمة ... مما جعل عظماء القوم يتخذون لفظ كاتب لقبا لهم ... بل وصوروا انفسهم على هيئة الكاتب المصرى المشهورة .

ومن مأثور كلامهم عن احترامهم للكاتب وادراكهم لاهمية دوره قولهم : « اجتهد كى تكون كاتبا حتى تقود العالم » .

وقد سموا بمنزلة الكتابة حتى جعلوا لها الهة مقدسة خاصة بها ..

واخترعوا من أجل الكتابة اعظم اختراع عرفته البشرية الا وهو الورق .. واستخدموا الاقلام فى الكتابة مما ميز الخط المصرى من الناحية الجمالية .

* * *

الحكمة ..

ان الحكمة لون أدبى هام فى الأدب المصرى فمن خلالها تقدم النصائح لغرض معين أحيانا .. وبعضها يختص سلوك خليفة الملك ، ومعظمها موجه الى الطبقة المتوسطة العليا الى موظفى البلاط الملكى ..

ومواضيع كثيرة تعالج العلاقة بين الرجل والمرأة وتقدم النصح للرجال فى كيفية معاملة النساء ..

وكان فى مصر .. كما كان فى اماكن أخرى .. ثلاثة انواع من النساء ، أى : زوجات وأمهات وعاهرات ..

ومن الممكن أن نستفيد ونعمل فى المجتمع الغربى اليوم بكثير من هذه النصائح ..

كما تعطى هذه النصائح صورة عن العلاقة بين الرجل والمرأة فى العهد القديم ..

وعلى مر مئات السنين كان يتم نسخ نصوص المواعظ فى مدارس الكتاب . وتظهر لنا رسالة من عصر الرعامسة مفهوم مهمة الكتاب :

ان الكتاب المتعلمين لا يبنون لأنفسهم أهرامات برونزية ، فكتب الحكمة هى أهراماتهم ، أما ابنهم فهو الريشة ، وأما زوجاتهم فكان سطح الحجر ..

تعاليم بتاح حتب ..

وصلت الينا هذه النصوص على برديات عديدة وأقدمها ترجع الى ١٩٠٠ ق.م .. أما الكاتب فهو بتاح حتب الذى عاش قبل هذا التاريخ بستمائة عام ..

وهناك أحدى نصائحه المتعلقة بالنهى عن فعل شىء — وبدلا من ذلك ينصح بتاح حتب بالتالى :

عندما تقدر على اطعام نفسك وتأسس منزلا ، فتزوج امرأة طبقا للعرف .. وأملأ بطنها (بالطعام) واعتنى ببشرتها ، وتكون العناية بجسدها بواسطة الزيوت ، فهى حرث نافع لزوجها ..

تعاليم آنى ..

الف الكاتب آنى فى حوالى ١٤٥٠ ق.م تعاليم عن الحياة موجهة الى ابنه ، والبرديات التى وصلت الينا ترجع بعد ذلك بمائتى عام ..

* فلتتخذ امرأة طالما كنت شابا
وعليها ان تنجب لك ابنا
واطفالا طالما كنت صغير السن
وعلم ابنك ان يصير رجلا
فالرجل السعيد هو من يكون له أطفالا كثيرون
فاحترامه يكون بعدد أولاده
واحذر المرأة الغريبة
التى لا يعرفها أحد فى مدينتها
ولا تشخص نظرك اليها ان مرت امامك
ولا تتعرف عليها من خلال الجسد
فهى ماء غائر لا يعرف الرجل تياره
والمرأة البعيدة عن زوجها
تقول لك كل يوم انى ملساء
فان لم يكن لديها شهود نصبت فخاخها
وانه لاثم عظيم عقابه الموت
اذا انكشف الأمر
لأن فمها لم يستطع كتمانه

تعاليم عنخ ششنق ..

كان مؤلف مجموعتى النصوص هذه كاهنا .. وقد القيها فى السجن بعد ان اتهم بالتآمر ضد الملك .. وقد تم تسجيلها عند الميلاد بقليل .. الا ان عنخ ششنق نفسه قد عاش قبل ذلك بعدة قرون ..

لا تكلف امرأة وضيعة بشأن من شئونك
فهى لن تهتم الا بأمر نفسها
لا تتخذ امرأة يكون زوجها على قيد الحياة
لانه سيصير عدوا لك
اجعل زوجتك ترى أموالك
ولكن لا تأتمنها عليها
لا تبح بمكنون قلبك لزوجتك
فما تقوله لها سيعرفه الشارع
لا تفتح قلبك لزوجتك أو لخادمك
بل افتحه لامك فهى امرأة كتومة
اسداء النصح للمرأة مثل ملء
كيس رمل مفتوح من جانبه
ما تفعله اليوم مع زوجها
تفعله غدا مع غيره
لا تتخذ صبيا صديقا

اذا فاح عطر من رجل

أنت زوجته بافعال القرود الصغيرة
اذا شقى رجل
صارت زوجته لبؤة امامه
لا تتحرر مع امرأة
يكون زوجها تابعا لك
المرأة التى كانت محبوبة
تصير وحيدة تماما اذا هجرت
اعط المرأة الذكية ١٠٠ قطعة من الفضة
لكن لا تأخذ ٢٠٠ من امرأة حمقاء
لا تفرح بجمال امرأتك
فقلبها ملك لمن يضاجعها
لا تعشق امرأة متزوجة
فمن يحب امرأة متزوجة
يقتل على عتبة بيتها
الرجل يفوق الحمار فى المضاجعة
الا ان حافظة نقوده هى التى تكبح جماحه
ان لم تهتم المرأة بمال زوجها
يكون فى بالها رجل آخر
المرأة السيئة ليس لها زوج

نصوص حكمة أخرى :

احتوت احدى لفافات البردى المهترئة — سلسلة من

النصوص الحكيمة ، التى نسخت فى القرن الأول بعيد الميلاد ..
والفت قبل ذلك بمائة عام على الأقل ، وقد فقدت بدايتها ..
وكذلك اسم مؤلفها •• وقد حفظت قصاصاتها فى كوبنهاجن ..

لا تعاشر امرأة تكون على علاقة
بمن هو أعلى منك درجة
وان كانت جميلة فابتعد عنها تماما
بعضهم لا يحب الجنس
لكنه يعطى كل ما يملك للنساء
قد يشقى الحكيم ايضا
بسبب امرأة يحبها
من يكرم بطنه ويشح على ذكره
لا يحتقـــر
الاحمق الذى يتعلق بامرأة يكون مثل الذبابة على الدم
اشتهائه للزنا يضر اسلوب حياته
ان كانت هناك امرأة جميلة
فاظهر مقدرتك على التحكم (بالتحديد فى قلبك)
المرأة الجميلة التى لا تحب رجلا من غير عشيرتها
تكون امرأة حكيمة
النساء ، التى يتبعن الطريق المحدد
لا يكن الا نادرا سيئات
بعضهم يملأون بيوتهم ثراء

دون ان يكون لهم دخلا
بعضهم ينسون نساءهم
عندما يكونون شبابا
لأنهم يحبون امرأة أخرى
لا تكون المرأة صالحة
ان امتدحها رجل غريب
قوى الخير وقوى الشر
تعمل فى النساء على الأرض
الشاب الذى لا تفسده بطنه لا يتهم
والذى يكون ملتزما فى الجنس
لا تشوب سمعته شائبة
لا يستطيع الرجل ابدا التعرف
على قلب المرأة ، تماما مثل السماء
الاحمق الذى ليس لديه عمل ، يشغله قضيبه
الذى يتجاوز الستين عاما
يكون كل شىء قد تجاوزه
واذا أحب قلبه يحب النبيذ
لا يستطيع الشرب حتى الثمالة
واذا احب الطعام
لا يكون بمقدوره الاكل مثلما اعتاد
واذا تعلق قلبه بامرأة

لا تأتى لحظتها
النبيذ والنساء والطعام اشياء تسر القلب
من يتمتع بها بلا افراط
لا يكون عليه تثريب فى العلن
واذا استغنى عن احداها
يصير عدوا لجسده

التقاويم وكتب الأحلام :

قد رأينا من المواعظ والسلوك العام فى المجتمع ... كان هناك أعمال تسدى نصائح خاصة :

مثلا عن كيفية التصرف فى مدن غريبة حيث تسود عادات وتقاليد أخرى ، أو ما ينبغى على المرء فعله أو تركه فى أيام معينة ..

اما اذا رأى أحدهم رؤية معينة ، فانه يجد تفسيرا لها فى كتاب الأحلام ..

ففى تانيس — احدى مدن الدلتا — تم العثور على بردية تعدد المحرمات فى مدن مختلفة وفى ايام مختلفة — أى أنه دليل مفيد جدا .

ففى اليوم الثالث والعشرين من الشهر الثالث لفصل الفيضان يكون الاتصال الجنسى محرما .. وهذا يعنى تحريم الاتصال الجنسى على الجنسين سواء رجل أو امرأة ..

كما يوجد نص مشابه على أحد جدران معبد ادفو فى

صعيد مصر .. وكان يوجد تقويم للايام المختارة التى تبشر بالحظ ، أو تنذر بالشؤم ، وهى تخص غالبا الحياة اليومية الا أن القليل منها يدور حول الأمور الجنسية .. وعلى احدى البرديات وجد التالى :

اليوم السابع من الشهر الأول من فصل الشتاء (٢٢ نوفمبر) سيىء للغاية . لا تتصل جنسيا بأية امرأة امام عين حورس .. (أى الشمس) .

ابق على النار التى فى دارك واتركها تتأجج فى هذا اليوم ..

اليوم الخامس من الشهر الثانى من فصل الصيف (٢٢ اغسطس) سيىء للغاية .. فى هذا اليوم لا تغادر دارك .. لا تعانق امرأة .. ففى هذا اليوم خلق التاسوع .

ومن ولد فى هذا اليوم يموت اثناء الاتصال الجنسى ..

ولقد بقى كتابان للاحلام عن مصر القديمة على رغم مرور آلاف السنين .. وقد كتب احدهما للرجال والآخر للنساء ..

وفى بداية كتاب الأحلام للرجال .. والذى يرجع تاريخه الى عام ١١٧٥ ق.م نقرأ :

« عندما يرى الرجل فى المنام ثم يتبع ذلك عدة احلام بعضها ذات فحوى جنسية :

ان قضيبه منتصب : خيرا ، هذا يعنى ان املاكه ستتزيد ..

انه يتصل جنسيا بأخته : خيرا .. هذا يعنى أنه سيرث .

انه يتصل جنسيا مع انثى فأر : شر .. ويعنى انه سوف يحكم عليه .

انه يتصل جنسيا بامرأة متزوجة .. شرا هذا يعنى حزنا .

انه يهيج قضيبه : شرا . هذا يعنى نصرا لاعدائه .

انه يتصل جنسيا مع حدأة : شرا . هذا يعنى انه سيخسر ثروته ..

انه يحلق شعر عانته : شرا .. هذا يعنى حزنا .

انه يرى مهبل امرأة : شرا .. ويعنى انه سيعانى أشد المعاناة ..

انه يتصل جنسيا بخنزير .. شرا . وهذا يعنى انه سيخسر أملاكه .

انه يضاجع زوجته فى الشمس .. شرا .. هذا يعنى ان ربه يرى سيئاته ..

أما كتاب الأحلام الخاص بالنساء فيرجع تاريخه الى القرن الثانى بعد الميلاد . الا ان هذا المجال من الكتابة يرجع كما سبق قوله الى زمن ابعد من ذلك بكثير ..

والبردية مشوهة بعض الشىء . الا ان العنوان وبعض المعانى الجنسية الطريفة بقيت سليمة ..

أنواع الاتصال الجنسى التى يحلم بها ..

اذا رأت المرأة فى منامها :

ان امرأة (أخرى) تزوجت زوجها . فانه سوف يقضى عليه .

واذا احتوته بذراعيها ، فانها ستصاب بغم ..

ان فأرا يتصل بها جنسيا ، فان زوجها سيعطيها ..

ان حصانا يتصل بها جنسيا ، فانها ستصير عنيفة تجاه زوجها ..

ان فلاحا يتصل بها جنسيا .. فان فلاحا سوف يعطيها ..

ان حمارا يتصل بها جنسيا .. فانها سوف تعاقب على ذنب كبير ..

ان تيسا يتصل بها جنسيا .. فانها سوف تموت مبكرا ..

ان حيوانا يتصل بها جنسيا .. فان بؤسا سوف يصيبها . خيرا ..

ان حيوانا يتصل بها جنسيا .. فان بؤسا سوف يصيبها .

ان ذئبا يتصل بها جنسيا .. فان عاملا يدويا يفعل بها خيرا ..

ان اسدا يتصل بها جنسيا .. سترى شيئا جميلا ..

ان تمساحا يتصل بها جنسيا .. سوف تموت عاجلا .

ان حية تتصل بها جنسيا .. سوف تتزوج رجلا يعاملها بشدة وسوف تمرض ..

ان قردا يتصل بها جنسيا .. سوف تفعل خيرا بانسان ..

أن أبا منجل يتصل بها جنسيا فانها سوف تحصل على دار مؤثثة اثاثا جيدا .

ان صقرا يتصل بها جنسيا فانها سوف

أن صقرا طائرا يتصل بها جنسيا فان عدوتها تحصل على املاك .

ان امرأة متزوجة تتصل بها جنسيا فانها ستصاب بسوء وسوف ... طفلها .

أن ليبيا يتصل بها جنسيا فانها ستفقد زوجها وسوف يعثر عليها ميتة .

أن سوريا يتصل بها جنسيا فانها سوف تبكى لأنها سوف تدع عبيدها يضاجعونها ..

أن عربيا (؟) يتصل بها جنسيا فانها سوف تبكى .. او انها ستقسم كذبا وسوف تستقبل كل من يأتيها بترحاب .. وسوف يتزوج زوجها بامرأة أخرى ..

نصوص السحر :

احتوت القصص وكتابة الوقائع والأشعار على كثير من عناصر الحياة الجنسية .

ولكن ليس كل انسان محظوظ فى العمل والحب .. وهذا يمكن مساعدته ، أو عناده ان كان عدوا :

فمنذ أقدم العصور والانسان يحاول التأثير بالسحر على الجنس ..

وكان المصريون يؤمنون ان لكل صورة قوة سحرية نشطة فى الدنيا والآخرة .. فمثلا كانوا يدفنون مع المتوفى تمثالا احليلية كى تستثير رجولته وتؤمن اعادة ميلاده ..

اما اذا كان الرجل المصرى يعانى فى حياته من ضعف جنسى فانه كان بالتأكيد يبحث عن حيلة تساعده وتوجد بردية — يرجع تاريخها للدولة الوسطى حوالى ١٧٠٠ ق.م — تنصح باستخدام الوصية التالية ضد العجز الجنسى :

« من أجل تبريد الأوعية ، وجعل اللين صلبا » : أوراق شوك وأوراق سنط وعسل . تطحن الأوراق وتضاف للعسل وتربط فوق الموضع ٤ ايام « كما كان غالبا ما يحدث ان تكمل التعاويذ السحرية العلاج الطبى .

وعلى احدى البرديات التى يرجع تاريخها الى عام ١٠٠٠ ق.م — يوجد وصفا لمنقوع الحب ، الا انها للاسف مهلهلة .

وهناك تعاويذ أخرى احتفظت بحالتها الجيدة لأنها سجلت فى عصور أحدث الا ان تاريخها يعود لعصور أقدم ..

وهذه بردية من القرن الثالث بعد الميلاد تحتوى على وصفة لأدوية مختلفة مقوية للجنس ..

منقوع حب :

يؤخذ قليل من قشر رأس رجل لقى مصرعه بصورة عنيفة مع سبع حبات شعير كانت مدفونة بمقبرة أحد الأموات .. ثم تصحن مع ١٠ (ويبات) بذر تفاح ، ثم يضاف الى ذلك دم قراد دجاجة سوداء ، كذلك نقطة دم من يـدك اليسرى ومنيك .. ثم يسحق الخليط حتى يصير كتلة متماسكة . ثم يوضع فى دن نبيذ ثم يضاف ٣ (ويبات) من أوائل الثمار التى لم تكن ذقتها بعد أو لم تقدم كقربان بعد .. ثم تتلو عليها هذه العبارة سـبع مرات ، ثم تعطيهـا للمرأة لتشربها .. وتربط جلد القراد المذكور سابقا فى قطعة كتان . وتربطه حول ذراعك اليسرى ..

كيف تبعد امرأة عن زوجها ، وزوجة عن زوجها :

« ويح ، ويح ، نار ، نار .. جب تحول الى نور وضاجع ثانية اخت امه تفنوت ، فغضب عليـه قلب أبيه غضب الذى روحه لهيب وجسده عمود ، يملأ الأرض نارا حتى تلفظ الجبال نارا .. غضب كل اله وكل الاهه .. انصب على ن ن ابن ن ن وعلى ندى بنت ن ن . اجعـل النـار فى قلبـه واللهيب فى مضجعه .. اخدم نار الكراهية بلا انقطاع فى قلبه حتى يطرد لأن بنتها ن ن من بيته .. ولتكن كريهة فى قلبه .. ولتكن ممقوتة فى عينه .. ولتتسبب له فى ان يكون هناك دائما نزع ونقار

وعداوة واتهام بينهما حتى ينفصلا ولا يتصـالحا مرة أخرى ابدا . صمغ .. ، مر .. ثم تضيف الى ذلك نبيذا وتضعه فى تمثال للاله جب ماسكا بيده صولجانا .. » .

قبل ذلك بألفى عام كانت احدى النساء قد استخدمت وسيلة أقل اثارة من ذلك .. بغرض الانتقام من ضرتها :

فهناك بردية ترجع لعام ١٧٠٠ ق.م تقريبا ، تحتوى على وصفات ضد الشعر الغزير ، واحدى هذه الوصفات لم تكن للاستعمال العادى .

وسيلة أخرى لجعل الشعر يتساقط .

« ورقة لوتس يتم طهيها تماما ثم توضـع فى الزيت ثم توضع على رأس المكروهة » .

اما اثارة النشاط الجنسى فى الآخرة فكان يتم عن طريق قراءة وصف للاوضاع المثالية أو عن طريق وضع النصـوص اللازمة فى تابوت المتوفى . وفى الدولة القديمـة كان الملك يستخدم نصوص الاهرام فى رحلته الى العالم الآخر .. وهى نصوص كتبت على جدران الهرم فكان على الملك ان يتوحـد مع ايزيس .

نصوص مثيرة :

حكايات اسطورية :

فى البدء كان الاله الشمس الذى خلق نفسه .. وبيده خلق الهين آخرين هما « شو » أى الهواء و « تفنوت » أى الرطوبة ، ثم اتحد الاثنان مرة أخرى وانجبا جب أى « الأرض » ونوت أى « السماء » بعد ذلك انحنت نوت (السماء) بجسدها على جب (الأرض) وهكذا انجبا اوزيريس وايزيس وست ونفتيس .. ومن هلاء ومعهم حورس ابن ايزيس تكون التاسوع(*) .

(*) التاسوع : عبارة عن نظرية حول عملية الخلق ، وقد نشأت هذه النظرية فى عين شمس « هليوبوليس » ، وتقول هذه النظرية بانه فى البدء كان الماء ، ثم كان ان انحسر الماء وظهر منه تل « على شكل هرمى » وقف عليه الاله الخالق « آتم » الذى خلق « شو » اله الهواء وتفنوت الهة الرطوبة ، اللذان انجبا اله الارض « جب » والهة السماء « نوت » ؛ ثم انجب الاخيران اول جيل من البشر المكون من اربعة اخوة ذكرين هما اوزوريس (رمز الخير) وست (رمز الشر) ، وانثتين هما ايزيس (زوجة اوزوريس) ونفتيس (زوجة ست) . ويبلغ مجموعة هؤلاء تسعة الهة ، ولذلك اطلق عليهم التاسوع .

وكان أحد المواضيع الرئيسية هو الصراع بين حورس وست حول خلافة أوزيريس :

عبارة عن مشكلة شرعية شائكة للغاية .. فحورس كان ابنه وست كان أخاه .. وكان كلاهما يحاول كسب السيادة من خلال وسائل شرعية على نحو أو آخر .. الا أن ست كان دائما ما يجد اثناء المعارك وقتا للمغامرات .

وكانت ايزيس هى مطمعه فى المقام الأول .. الا انها لم تكن تريد سماع شىء عنه .. وعلى برديات مختلفة عثر على النصوص التالية :

قصة من حياة التاسوع :

قضى اله الشمس وقتا طويلا من حياته لينصر حزبا على الآخر — وليحكم بين المتخاصمين الا انه كان يستريح من وقت لآخر :

فكان الاله الكبير يقضى يوما كاملا وهو راقد على ظهره فى رواقه .. حزينا ووحيدا وبعد برهة طويلة تأتى حتحور .. سيدة أشجار الجميز الجنوبية .. تأتى أمام ابيها سيد الجميع — وتتعرى امامه .. وهنا اضطر الاله الاكبر للضحك منها (وصالحها) .

وفى هذه الاثناء حاول ست الاقتراب من ايزيس :

« وهنا التفت ست ورأى ايزيس هناك ، حيث كانت تأتى من بعيد ــ الا انها كانت تلقى بقوتها السحرية قولا سحرا ، وتحولت الى فتاة حديثة السن ، ملفوفة القوام فلم تشبهها فتاة أخرى فى البلاد كلها ..

فصار (ست) عليلا من حبه لها .. وغادر ست مائدة طعام التاسوع الكبير ومضى ليقابلها .. ولم يكن أحد رآها غيره .. ثم اختبأ خلف شجرة جميز ثم ناداها وقال لها :
« انى اود الحياة معك هنا أيتها الفتاة الجميلة » .

فاجابته : « بكل سرور يا سيدى الاعظم ، وبالنسبة لى فانا كنت متزوجة من راع وانجبت له ابنا ومات زوجى .. وقد مضى الصبى خلف ماشية ابيه .. ثم أتى غريب وقبع فى حظيرتى وقال لابنى ما يلى :

« انى سوف اوسعك ضربا ، وسوف آخذ ماشية ابيك وسوف اطردك » وهذا ما قاله له .

« وانى احب ان استنفرك للكفاح من أجله » .

وهنا قالت ست لها : « هل يجب اعطاء الماشية للغريب بينما يقف ابن زوجك متفرجا ؟ » .

وهنا تحولت ايزيس الى حدأة .. ثم طارت ووقفت على قمة شجرة ثم صاحت فى ست :

« فلتخجل ، لقد تحدث به فمك ، وحكم عليك ذكاؤك .
فماذا تريد بعد ذلك ؟ » .

وكانت ايزيس تعنى هنا مسألة خلافة اوزيريس ومن الظاهر ان ايزيس هى التى جهزت المشهد كله حتى توقع ست فى الفخ .

واثناء فرصة أخرى استخدم ست فنون تحوله :

« عندما رأى ست ايزيس فى هذا المكان ، سحر نفسه ثورا ليجرى خلفها ، فحولت نفسها الى (شكل) كلبة ذات سكين فى نهاية ذيلها .. ثم ركضت أمامه فلم يستطع اللحاق بها .. فانزل منيه على الأرض .. وهنا صاحت هذه الالهة : كم هو مقرف (منيك) ايها الثور الا ان منيه بدأ ينمو على هذا الجبل فى شكل عشب ، وصار (هذا العشب الذى نسميه) بدت .. كاو ..

اما عنات فكانت الهة أجنبية ، وكانت مقاتلة على نحو ما .. وقد تبناها التاسوع وهى تدعو اله الشمس بأبى .. الا انها زوجته ايضا .. وسرعان ما وقع ست تحت تأثير جمالها الاخاذ :

« كانت الالهة عنات تنعم فى نهر تشاب وتستحم فى نهر حكمت . وكان أن خرج اله الشمس للنزهة (فرأى ست وهو (يصعد ظهرها) ومنى عليها مثل الحمل .. (فتدفق شىء من

المنى) على جبهته بالقرب من حاجبيه وعينه .. فرقد (مريضا)
على سريره فى داره .. ثم جاءت عنات المنتصرة ، وهى المرأة
التى تأتى بافعال الفرسان ، وترتدى ملابس الرجال ومتمنطقة
كامرأة :

جئت هذا المساء الى المنزل واعرف انك اتيت لنزع المنى
من ست .. أليس هذا عقابا طفوليا لمن كانت امرأة اله الشمس ان
يجامعها ست بهذه الحرارة » .

وجاء زمن ضاق فيه اله الشمس بنزاع حورس وست ،
فطلب ببساطة من الاثنين أن يرحلا .

فصار لدى ست تصور دقيق عن كيفية قضاءه الوقت مع
حـورس :

وهنا قال ست لحورس :

« تعال ... لنقضى يوما جميلا فى بيتى » .

فقال له حورس : « بكل سرور » .

وفى المساء جهز لهما الفراش ورقدا .. كلاهما ولكن فى
الليل جعل قضيبه ينتصب وادخله بين ساقى حورس ، الا ان
حورس وضع كفيه بين ساقيه وتلقف منى ست ..

ثم مضى حورس الى امه ليقول لها « اغثينى يا ايزيس
يا أمى .. تعالى وانظرى ماذا فعل بى ست ؟ » وفتح يديه

وأراها منى ست .. فصرخت عاليا واخذت معدنا وقطعت يده
والقت بها فى المـاء .. ثم جعلت له يدا (بنفس) القيمة ..
ثم اتت بمرهم حلو ووضعته على ذكر حورس وجعلته ينتصب
بان وضعته فى اناء فانزل منيه فيه ..

وفى الصباح ذهبت بمنى حورس الى بستان ست وقالت
للبستانى :

« أى عشب من الاعشاب عندك يأكل منها ست ؟

فقال لها البستانى : هو لا يأكل عندى أى عشب غير نبات
الخس فوضعت ايزيس المنى عليه .. وكعادة ست اليومية أتى
واكل من نبات الخس والذى كان يأكله دائما .. فحمل فى الحال
من منى حـورس .. بعـد ذلك ذهب ست الى حورس
ليقول له :

« تعال فلنسرع حتى يفصل القضاء بينى وبينك ..

فقال له حورس : بكل سرور ..

وكان ان ذهبا الى المحكمة معا .. وقفا امام التاسوع
العظيم ..

فقيل لهما : تكلمـا ..

فقال ست : « اعطـونى الامارة ، لانى فعلت بحورس
وبالتحديد هذا الواقف هنا بافعال الرجال ..

وهنا رفع التاسوع عقيرته وصرخ ، ثم بصق فى وجه حورس .. الا أن حورس سخر منه .. ثم اقسم حورس امام الاله وقال :

« كذب كله ، ما قال ست ، فلتستدع منى ست ، ولنرى من أين يرد ، ولنستدع منى أنا .. ولنرى من أين سيرد » ..

اما تحوت(*) ، سيد كلام الله وكاتب حقيقة التاسوع ، فقد وضع يده على ذراع حورس وقال :

« اخرج يا منى ست » .

فرد عليه من المـاء الذى فى البركه ..

ثم كان ان وضع تحوت يده على ذراع ست وقال :

« اخرج يا منى حورس » .

فقال له : « من أين اخرج » ؟

فقال له تحوت : « اخرج من اذنه » .

فقال له : هل لى ان اخرج من اذنه .. وأنا افراز الهى ؟

فقال تحوت : « فلتخرج من مفرقه » .

(*) تحوت : اله العلم والمعرفة لدى اجدادنا وكان مقر عبادته منطقة الاشمونين بمحافظة المنيا .
وهو يصور بجسد انسان ورأس طائر ابى منجـل (الذى يشبه ابا قردان) وعلى راسه القمر ، وبيديه ريشة وقطعة من ورق البردى ، كما كان يصور ايضا على شكل قرد البابون .

فخرج من رأس ست على هيئة قرص ذهبى ..

فامتعض ست للغاية .. ومد يده ليمسك بالقرص الذهبى الا ان تحوت انتزعه ووضعه حليا على رأسه هو ..

وامتعض ست للغاية وصرخ صرخة مدوية عنـدما قال التاسوع :

« الحق لحورس والباطل لست » .

وكان ان اقسم ست قسما مغلظا قائلا :

« لا ينبغى ان يصل هذا المنصب » .

واستمر صراع حورس وست مستخدمين حيلا جديدة .. وفى النهاية حلت المشكلة هكـذا .. فقد ارسـل رسالة الى اوزوريس فى عالم الموتى لكى يصدر حكمه ...

وهكذا ورث حورس العرش فى النهاية ..

اما بالنسبة للمشهد الذى يغتصب فيه ست حورس ، فقد وجد فى صياغة أخرى ، فلقد اقترب ست من حورس وقد بانت عليه النوايا العدوانية ..

وقال ست لحورس : « كم جميلة هى مؤخرتك » .

فقال حورس : « انتظر حتى اقول ذلك » .

وقال حورس لأمه ايزيس : « ست يريد إختبارى » .

فقالت له امه : احذر ، ولذلك لا تقترب منه ..

فاذا ذكر ذلك مرة أخرى فقل له :

« ان ذلك صعب بالنسبة لى ، بسبب قدى ، فانت اثقل منى وقوتى ليست مثل قوتك وهذا ما يجب ان تقوله .. » .

فاذا ما منحك قوة .. فيجب عليك وضع اصابعك على مؤخرتك ...

ولسوف يروق له هذا جدا ... المنى الذى سيتدفق من ذكره فلا ينبغى ان يرى الشمس » .

كيف حملت ايزيس بحورس :

توجد تفسيرات مختلفة حول عملية خلق حورس :

فحسب النظرية اللاهوتية خلقه اله الشمس جزءا من التاسوع ، وحسب نظرية أخرى فقد حملت فيه ايزيس بينما كان اوزيريس – أبوه – قد توفى بالفعل ، كما تظهر ذلك بعض الصور .. وقد ظهرت فيها ايزيس على هيئة طائر يرفرف على اوزيريس المحنط ..

وهذه الصورة تيسر تفسير النصوص التى توصف هذا الحدث وقد احتوت لوحة يرجع عمرها الى ١٤٠٠ ق.م – وهى محفوظة باللوفر – على أنشودة ، منها الفقرات التالية :

« ايزيس القادرة حامية اخيها
الباحثة عنه دون كلل
والتى تخترق هذا البلد حزينة
ولم تهدأ حتى وجدته

وقد منحت الظل بريشها
وخلقت النسمة بجناحيها
والتى صرخت منتحبة وندبت على اخيها
والتى حشدت الراقصين من أجل فقيدها
والتى أخذت منيه وخلقت الوريث
والتى ارضعت الطفل وحيده
ولم نعرف أين .. »

وبعد الف سنة تقريبا ، قيل فى نفس الشأن :

« انا اختك ايزيس ، لا يوجد اله فعل
ما فعلته .. ولا الهه
لقد لعبت دور الرجل مع انى امرأة
لاحفظ اسمك حيا على الأرض
عندما كان منيك الالهى فى جسدى ، ارقته على الأرض »

* * *

الميلاد الالهى للملكة حتشبسوت :

كان من الامور الهامة للغاية ان يكون باستطاعة الملك المصرى اثبات احقيته فى اعتلاء العرش . فاذا ما كان هناك ادنى شك فى ذلك ، كان لابد من الاعلان وبوضوح وعلى الملأ عن وجود استثناء خاص جدا وهذا يعنى :

تجلى الاله للامير الشاب فى المنام أو ان تمثال الاله فى المعبد قد اشار اليه وكان الامر يصل ايضا الى جعل الاله أبا للامير .

وقد كانت الملكة حتشبسوت ـ حكمت مصر فيما بين ١٥٠٣ و ١٤٨٢ قبل الميلاد ـ بحاجة الى المبرر الاخير والذى نقله عنها حرفيا تقريبـا ـ فى نفس القرن ـ الملك امنحتب الثالث .

ويوجد نص بهـذا المعنى محفـورا على حائط معبـد حتشبسوت بالدير البحرى بصعيد مصر .

وكان الاله آمون قد أخبر التاسوع بأنه يفكر فى انجاب حاكم جديد لمصر . واخبره تحوت رب الكلام الالهى بوجود الملكة الجميلة احموس بالقصر فجاشت مشـاعر آمـون فى الحال . الا انه واجه مشكلة وهى كيفية تسلله الى مخدع تلك الجميلة . وكان الحل بسيطا وهو ان يتحول الاله الى تحتمس الأول زوج الملكة .

« فوجدوها راقدة فى قلب قصرها ، واستيقظت بفعل عبير الاله فهشت لجلالته . فمضى هو اليها فى الحال وقد تحرق شوقا اليها واعطاها قلبه ، وجعلها تراه فى هيئته الالهية بعـد ان ظهر امامها ، فهللت لرؤية كماله ودب حبه فى اوصالها وفاض عبير الاله على القصر وكانت كل رائحته الذكية من بونت (بلاد البخور) . وفعل هذا الاله بها كل ما يشاء وتركته يحتفى بها وقبلتـه .

« مولاى .. عظم مجدك .. ما اروع رؤية محياك قـد احطت جلالتى بضياءك وحل عبيرك بكل اوصالى » .

كان هذا ما قالته بعد ان فعل بها جلالة هـذا الاله كل ما يشاء . وتحدث اليها آمون رب الكرنك :

« ليكن حتشبسوت هو اسم جنينك الذى وضعتـه فى احشاءك حسبما تفوه فمك » .

* * *

حكاية باتا وزوجة أخيه :

تدور هـذه القصـة حـول اغراء زوجة رجـل يدعى « أنوبيس » لاخيه الاصغر المسمى « باتا » وهى احدى قصتين كانتـا مضغمتين ومعروفتين باسم قصـة الاخوين أو قصص الاخوة . والقصة تشبه بوضوح قصة زوجة بوتيفار المذكورة فى التوراة :

يروى أنه كان هنـاك شـقيقان من أب واحـد ومن أم واحدة . أما الاكبر فكان يدعى « أنوبيس » ، اما اسم الاصغر فكان « باتا » .

وكان لانوبيس دار وزوجة ، بينما كان أخـوه الاصغر يعيش معه مثل ابنه .

وكان هو (الاصغر) ، الذى يحيك له الملابس ، ويسوق ماشيته الى المرعى وكان هو ايضا الذى يحرث ويحصد له ، أى كان هو الذى يقوم بكل اعمال الحقل من أجله .

كان أخوه الاصغر شابا قويا ليس له مثيـل فى البلا
كلها : فقد كان يملك قوة الهية •

بعد ذلك بايام عديدة كان أخوه الاصغر يرعى الماشية
كعادته ، وكان يعود كل مساء حاملا جميع الاعشاب من الحقل
وكذلك اللبن والحطب واشياء جميلة من الحقل وقدمها لـ
أخيه الذى كان جالسا الى زوجته • ثم شرب وأكل ومضى خارج
الى حظيرته حيث ينام بين ماشيته • وعندما طلع النهار وبدأ يوم
جديد ، قام (بتجهيز) طعام وقدمه لاخيه • اما هذا فاعطاه
طعاما ليأخذه معه الى الحقل ، اما هو (باتا) فاخرج ابقاره
ليجعلها ترعى فى الحقل • وبينمـا هو يمضى خلف ابقـاره .
قالت له : فى هذا الموضع وذاك الموضع يكون العشب جيدا .
فسمع كل ما قالته وقادها حيث موضع العشب الجيد . التى
رغبت فيه •

وهكذا نمت الابقار التى يرعاها على نحو غير مألوف وولدت
عدة مرات •

وكان أن قال له أخوه الاكبر لمـا حان وقت الحرث :

جهز زوجا من ابقار الحرث • فالارض قد جفت (بعد
الفيضان) وصارت صالحة للحرث • فتعال الى الحقل بالبذر .
فعلينا أن نحرث بجد فى الغد • هكذا كان كلامه له •

ولقد فعل الاخ الاصغر كل ما قال أخوه الاكبر « افعله »
وعندما طلع النهار مضيا الى الحقل بالبذور وحرثا بجدية •
وكانا سعيدين للغاية اثناء عملهما ، باكورة عمل الربيع •

وبعد عدة ايام وعندما كانا فى الحقل واحتاجا الى بذور
ارسل (الاخ الاكبر) اخاه الاصغر وقال : « امض واجلب لنا
بذرا من القرية » وكان أن وجد أخوه الاصغر زوجة أخيه الاكبر
جالسة تتمشط • فقال لها : « انهضى ، حتى تحضرى لى بذرا
كى اعـود سريعا الى الحقـــل لأن أخى الأكبر ينتظـرنى ،
ولا تتأخرى » •

فردت عليه : « اذهب وافتح الخزانة واحمل ما تريد ،
ولا تعطلنى عن تمشيط شعرى » •

فمضى الفتى الى الحظيرة وأخذ منها جرة كبيرة لانه اراد
حمل بذر كثير • وملأها شعيرا وقمحا ومضى خارجا •

وهنـا قالت هى له : « كم يزن هـذا الذى تحمله على
كتفك ؟ » فأجابها :

« ثلاث كيلات قمح وكيلتين من الشعير ، أى انها خمس
كيلات على كتفى » هكذا كان كلامه اليها •

وهنا بدأت الحديث معه وقالت له : « ان فيك قوة كبيرة •
نعم انى ارى كل يوم فحولتك • » وكان ان شاءت تجربته كرجل •
فقامت وامسكت به وقالت له : « تعال دعنا نقضى ساعة حظ ،
ونتضاجع ، فلســوف اكافئك ، واصنع لك ملابس جميلة •

فتحول الفتى الى فهد صعيدى غضـــوب بسبب الطلب التى
طلبته منه • اما هى فخافت كثيرا وكان أن قال لها : انظرى ،
انك بمثابة الام لى • وزوجك بمثابة أبى • وهو ، الذى يكبرنى ،
قد قام بتربيتى • فلما هذه الوضاعة العظيمة التى تفوهت بها
الى فلا تقولى بها لى مرة أخرى أما أنا فلن أخبر بها أحدا .
ولن « اتلفظ بها لأى انسان آخر » •

ثم حمل حمله ومضى الى الحقل • وحضر الى أخيـه
الاكبر ومضى يعملان بهمه •

فيما بعد عاد أخوه فى المساء الى الدار ، بينما كان أخوه
الاصغر يحضر ماشيته ويحمل كل شىء من الحقـل وسـاق
قطيعة امامه حتى ينام فى حظيرته فى القرية •

اما زوجة اخيه فكانت خائفة من طلبها •• فجاءت بدهن
وشحم وتظاهرت بالمعتدى عليها لكى تقول لزوجها : « قد كان
هذا هو اخوك الذى ضربنى » •

وفى المساء رجع زوجها كعادته ، وعندما دخل الدار وجد
زوجته راقدة متمارضة ، ولم تصب على يديه المـاء ، كما اعتاد
منها ، ولم تشعل له نورا بل كان داره غارقا فى الظلام بينما
كانت هى راقدة وتتقيأ •

فقال لها زوجها لها « من خاطبك ؟ » •

فاجابته : « لا احد خاطبنى سوى اخيك الاصغر عندما
اتى ليحضر لك البذر ووجدنى جالسة وحيدة قال لى : « تعالى ،
دعينى نقضى ساعة حظ ونتضاجع وساوى زينة شعرك » •
هكذا كان كلامه لى • ولكنى لم اسمع له وقلت له : ألست
اما لك ؟ أليس أخــوك الاكبر هو بمثـابة أبا لك ؟ » فخاف
وضربنى حتى لا ابلغك بذلك • فان تركته على قيد الحياة ،
قتلت نفسى • انظر عندما يأتى فلا تسمع له فعندما تســمعه
بهذه التهمة القذرة ، فانه سيحيلها الى افتراء ضدى » •

وهنا صار اخوه الاكبر (غاضبا) مثل فهد صعيدى فشحذ
حربته وامسك بها فى يده •

وكان أن وقف أخوه الاكبر خلف باب حظيرته لكى يقتل
اخاه الاصغر عندما يرجع الدار فى المساء ليدخل ماشيته الى
الحظيرة • وعندما غابت الشمس كان الاخ الاصغر قد جمع
كل انواع العشب من الحقل كعادته كل يوم • وعندما عاد للدار
دخلت البقرة الأولى الى الحظيرة وقالت لراعيها : احذر ، اخوك
واقف امامك بحربته ليقتلك فاهرب من أمامه » •

فسمع ما قالته البقرة الاولى له • ثم دخلت أخرى وقالت
نفس الشىء •

وهنا نظر تحت باب حظيرته فرأى قدمى أخيـه الاكبر
الواقف خلف الباب وبيده الحربة فالقى بحمله على الارض ولاذ
بالفرار ! لأن اخاه الاكبر تتبعه ومعه الحربة •

وهنا تضرع أخوه الاصغر الى رع حور اختى(*) قائلا
مولاى الطيب ، انك الفاصل بين الظالم والبرىء .

فسمع رع كل تضرعه وجعل رع بينه وبين أخيه الاكبر
ماء كثيرا مليئا بالتماسيح .

وهكذا وقف احدهما على ضفة بينى وقف الاخر على
الضفة الاخرى . فضرب أخوه الاكبر كفا بكف مرتين (من
الغضب) لانه لم يقتله .

اما اخوه الاصغر فصاح به من الضفة الاخرى : « فلتبق
واقفا هناك حتى يطلع النهار . وحالما تشرق الشمس ستحتكم
اليها ، فهى التى ستسلم الظالم للبرىء والحق اقول : انى لن
اكون فى المكان الذى أنت فيه ، بل سامضى الى وادى الارز .

وعندما طلع النهار بزغ رع حور أختى (الشمس) فرأى
كل منهما الاخر . فاتجه الفتى الى أخيه الاكبر بهذه الكلمات
ماذا جاء بك خلفى ؟ أمن أجل أن تقتلنى بسبب افتراء ، دون
أن تسمعنى . وانا اخوك الاصغر وأنت لى بمثابة أبى وزوجتك
كأم لى . اليس كذلك ؟ فعندما أرسلتنى كى اجلب لنا بذورا
قالت امرأتك لى (تعال) دعنا نقضى ساعة حظ ، ونتضاجع .
انظر ، الان تتقول فى وجودك النقيض . » وأخبره بكل شىء
حدث بينه وبين زوجته . ثم اقسم برع حور آختى : « وقد
أتيت حقا بحربتك لتقتلنى بسبب افتراء عاهرة قذرة » (وحق
على فعل ما سأفعله الآن) .

(*) رع حور آختى : هو الاله الاعظم اله الشمس رع .

ثم أخذ سكينا من الغاب وقطع بها قضيبه والقى به
فى الماء فابتلعته سمكة ضخمة . فبدأ عليه الضعف والبؤس .
فحزن عليه أخوه الاكبر للغاية وشرع يبكيه بصوت عال .
الا انه لم يستطع العبور اليه بسبب التماسيح وهنا صاح به
أخوه الاصغر : ان كنت تذكر الشر فتستطيع ايضا تذكر الخير
او تذكر أى شىء فعلته من أجلك . واذهب الآن الى الدار
واهتم بنفسك وبماشيتك لانى لن ابقى فى المكان الذى أنت
فيه ، بل انى ماض الى وادى الارز .

* * *

حكايات عن الرجال :

غالبا ما يرد فى حكايات الزنا أن النساء هن المبادرات
بذلك ، مما يجعل الاذى من نصيبهن فى النهاية .

أما فى الحياة الواقعية فقد كان الزنا جريمة نكراء .

وقد كتب ديودور :

« ان قام رجل باغتصاب امرأة ، فانهم كانوا يحكمون
بخصيه . اما اذا اقنع رجل امرأة بالزنا فكان الرجل يضرب الف
جلدة ، بينما يجدع انف المرأة » .

اما الوثائق الرسمية فتوضح لنا ان الزنا كان منتشرا جدا
فى الطبقات الدنيا . كما نرى فى احدى الوقائع من عصر
الرعامسة(*) :

(*) الرعامسة : تسمية تطلق على الملوك الذين اتخذوا « رمسيس » اسما لهم .

« يانبى دنس توى « بنت المدينة » ، (مع أنها ، كانت زوجة لعامل يدعى قنا . كما دنس بنت المدينة « حنر » عندما كانت لدى حسيو بنف ، هكذا شهد ابنه وعندما دنس « حنر » دنس ابنتها « أو بشت » أيضا . وكذلك ابنه « اعبتى » دنس « أو بشت » .

ولكن هذه الوثيقة .. لا توضح الجزء الواقع على هذا المسلك غير المشروع .

وكان اذا اقترفت زوجة الزنا ، كان زوجها يستطيع طلاقها .

وهناك عقد زواج من العصر البطلمى نقرأ فيه :

« ان وجدتك مع أى رجل آخر ، فانى لا استطيع ان اقول بعد ذلك انك زوجتى » .

الا أنه كان بمقدور المرأة أن تؤكد على براءتها بقولها :

« لم امارس الجنس خارج الحياة الزوجية ، فمنذ تزوجت لم امارس الجنس مع أحد سواك » .

حكاية زوجة أوبا ـ أونر ورجل من المدينة :

هذه القصة مسجلة على بردية معروفة باسم بردية وستكار وهى تعود الى عام ١٥٠٠ قبل الميلاد . وتوجد الآن فى برلين الشرقية .. وكانت قد رويت فى بلاط الملك خوفو ، أى قبل الف عام من تسجيلها على البردية :

« وكان يوجد فى بركة بستان أوبا ـ أونر عريش . وكان ان قال الرجل لزوجة أوبا ـ اونر ان هناك عريشا بالبستان هيا بنا نقضى ساعة حظ هناك .

وهنا قالت زوجة أوبا ـ أونر للبستانى :

فلتزود العريش الموجود على بركة البستان بالمؤن .

ثم مضت الى العريش وقضت اليوم كله هناك وهى تشرب مع الرجل حتى غروب الشمس .

(بعد ذلك وقف الرجل وشاء الاستحمام فى بركة البستان) .

وكان ان قادته الخادمة الى أسفل ، بينما كان البستانى (يراقب ذلك وقال لنفسه : (سوف ابلغ) أوبا ـ أونر (بذلك) .

وحين حل النور على الأرض مرة أخرى وبدأ اليوم التالى أسرع البستانى الى أوبا ـ أونر وابلغه بهذه القصة .

فقال له أوبا ـ أونر : احضر لى (كتب وأدوات السحر من الصوان) الابنوسية والذهبية فانى سوف اصنع منتقما وابعثه رسولا منى اليه .

ثم صنع تمساحا من الشمع بحجم سبعة أصابع وقرأ عليه تعويذة : عندما يأتى ليستحم فى بحيرتى (فاقبض على الرجل) ثم اعطاه للبستانى وقال : « عندما ينزل الرجل الى البركة كما اعتاد ان يفعل كل يوم ، فالق بهذا التمساح خلفه » .

فمضى البستانى مسرعا وأخذ معه تمساح الشمع .

وكان أن قالت زوجة أوبا ــ أونر مرة ثانية للبستانى : جهز العريش الموجود على بركة البستان ، لاننى سآتى وامكث هناك » .

وكان أن جهز العريش بكل شىء طيب . ومضى الاثنتان ، المرأة والخادمة وقضيتا يوما جميلا مع الرجل .

وعندما حل المساء أتى الرجل الى (البركة) كما اعتاد ان يفعل كل يوم . وهنا رمى البستانى بالتمساح الشمع خلفه فى المـاء . فتحول الى تمســاح طوله ســبعة اذرع . وامسك بالرجل . اثناء ذلك ظل أوبا ــ أونر سبعة ايام لدى جــلالة الملك « نبكا »(*) ، بينما كان الرجل فى اعماق البركة ، دون أن يتنفس . وعندما انقضت الايام الســبعة تأهب الملك نبكــا (للعودة الى قصره) فتقدم كاهن التراتيل الاكبر أوبا ــ أونر وقال (له) : (الا اذنت لى) بقول شىء ؟ فلتتكرم جلالتك بالمجىء لأريك معجزة وقعت فى عهد جلالتك » .

(فذهب الملك معه الى بركة) أوبا ــ اونر الذى صــاح بالتمساح قائلا :

« فلتصعد بالرجل » (فخرج التمساح من المــاء واحضر الرجل وهنا قال كاهن التراتيل الاكبر : « امض به مرة أخرى »

(*) نب كا : هو احد ملوك الاسرة الثالثة حوالى ٢٩٠٠ قبل الميــلاد .

فمضى به ثانية . واحضر (اوبا اونر الرجل مرة أخرى ووضعه أمام جلالته) .

فقال جلالة الملك نبكا : حقا ان هذا لتمساح مخيف » .

فانحنى أوبا ــ أونر وأخذه فصار فى يده تمساحا من الشمع مرة أخرى ثم قص أوبا ــ أونر على جلالة الملك ما فعله الرجل مع امرأته فى بيته .

فقال جلالته للتمساح : « اذهب بصاحبك » .

فغاص التمساح فى اعماق البركة . ولم يعرف أحد قط الى أين مضى به .

ثم أمر الملك نبكا بالذهاب بزوجة أوبا ــ أونر الى مرعى التعذيب فى شمال القصر . وأمر بوضع النار عليها (ونثر) رمادها فى النهر .

حكاية ستنه وتابوبو :

كان الرجل الذى يضــاجع امرأة غير زوجتــه يتعرض للمشاكل . فعلى سبيل المثال كان حال « ستنه » سيكون أفضل لو أنه عمل بنصيحة الحكيم بتاح حتب(*) :

« ان شئت الحفاظ على الصداقة فى منزل ترتاده كابن أو أخ أو صديق ، أو أى صفة أخرى ، فاحذر الاقتراب من النساء ، والمكان الذى يقع فيه ذلك لا يمكن ان يكون طيبا .

(*) بتاح حتب : واحد من اعظم الحكماء ، وقد كان وزيرا فى عهد الأسرة الخامســة حوالى ٢٤٠٠ قبــل الميلاد وله مقبرة جميلة بسـقارة .

فقد يفتن الرجل بجسد يلمع كالمرمر ، لكنه سرعان ما يتحول الى عقيق احمر (فالمتعة) تنتهى سريعا مثل الحلم • والموت هو النهاية عندئذ يعلم الانسان الكلمة الحق من طيش الطباع » •

كاد غرام ستنه بتابوبو الجميلة أن يقوده الى مصير بائس • وهذه القصة المسجلة على بردية كان قد تم نسخها فى العصر البطلمى أى القرن الأول قبل الميلاد :

كان ستنه واحدا من الأبناء الكثيرين لرمسيس الثانى الذى حكم مصر قبل ذلك بنحو الف عام وكان كاهنا كما كان ساحرا شهيرا ومن خلال انشغاله بالسحر حدث له ما حدث مع تابوبو • فقد كان زميله نى ـ نفر ـ كا ـ بتاح قد حصل بعد مصاعب جمة على كتاب فى السحر ألفه تحوت اله السحر •

فأراد ستنه الحصول عليه فحاول أولا سرقته ثم مارس ضغوطا على نى ـ نفر ـ كا ـ بتاح حتى يعطيه له • ولكن نى نفر كا بتاح اقترح عليه حلا « طريفا » •• فبوسع ستنه الحصول على الكتاب لو أنه فاز عليه فى الشطرنج •

وهذه لعبة بسيطة بالنسبة لساحر ، الا ان الخصمين كانا يدخران خدعا كثيرة •

وكان أن تمكن ستنه فى النهاية من الفوز بالكتاب • ونشر الخبر فى كل مكان ، حتى أنه اخبر الفرعون بذلك ولكن الفرعون نصحه باعادة هذا الكتاب ، الا أن ستنه لم يسمع له ، بل كان يتجول وهو يقرأ من الكتاب بصوت عاليا •

وذات مرة فى يوم من الايام بينما كان ستنه يروح ويغدو امام معبد بتاح اذا به يلمح امرأة رائعة الجمال ، ليس لها نظير • كانت جميلة ومزدانة بحلى كثير من الذهب ، وكانت بعض الفتيات يسرعن خلفها واثنان وخمسون من أهل بيتها يحيطون بها كمرافقين •

وفى اللحظة التى لمحها فيها ستنه لم يعرف موطىء قدميه (لانه كاد أن يفقد عقله) فنادى ستنه خادمه وقال له :

« اذهب حالا الى المكان الذى توجد به هذه المرأة واسأل عن أصلها » •

وفى الحال مضى الخادم الى المكان الذى توجد به المرأة ونادى على جارية صغيرة كانت تمشى خلفها وسألها :

« من تكون هذه المرأة ؟ » •

فقالت له : انها تابوبو ابنه نبى باستت ، ربة غنخ ـ تاوى « احد أحياء مدينة منف » ـ وقد اتت الى هنا لتصلى للاله العظيم بتاح » •

فعاد الغلام الى ستنه وأخبره بدقة بكل ما قالته له •

فقال ستنه للغلام : « اذهب الى الفتاة وقل لها ان ستنه خائموسى ، ابن الفرعون اوسر ماعت رع (رمسيس الثانى) هو الذى ارسلنى ويقول لك : سوف اعطيك عشرة قطع من الذهب ان قضيت ساعة معى ، وان كنت تخشين مغبة ذلك فدعى

لى تسوية الامر ، فانى سوف اذهب بك الى مكان آمن ، حيث لا يستطيع أى انسان العثور عليك » .

وعاد الغلام الى المكان الذى كان توجد به تابوبو ونادى جاريتها الصغيرة وحادثها فتبرمت وكأن ما قاله كان بمثابة اهانة لها .

اما تابوبو فقالت للغلام : « فلتتوقف عن مساومة هذه الجارية الماجنة ، وتعال وتحدث معى » .

فاسرع الغلام الى تابوبو وقال لها : « سوف اعطيك عشر قطع من الذهب ان قضيت ساعة مع ستنه خائموسى ابن الفرعون اوسر ماعت رع . فان كنت تخشين مغبة ذلك فدعى له تسوية هذا الامر . فسوف يحملك الى مكان آمن لا يصل اليك فيه أى انسان على وجه الأرض » . حينئذ قالت تابوبو : اذهب وقل لستنه التالى :

« انى فاضلة ، ولست امرأة وضيعة . فان كنت ترغب حقا أن تفعل معى ما تشاء فيجب عليك ان تأتى الى دارى فى برياستت . فهو مجهز تماما بكل شىء وتستطيع ان تفعل معى ما تشاء دون ان يستطيع أى انسان على وجه الأرض العثور على، ودون أن آتى ما تؤتيه امرأة سافلة من الشارع » .

وكان أن عاد الغلام الى ستنه وأخبره بكل ما قالته له بدقة .

فقال : « ان الامر مناسب هكذا » .

واستدعى ستنه سفينة وصعد اليها ورحل فى الحال الى بربا ستت . وعندما وصل غربى « كمى » وجد دارا شاهقة على نحو غريب محاطة بسور ووجد شماليها بستانا امامه رواق للزوار . فسأل ستنه : « لمن هذه الدار ؟ » .

فقيل له : « انها دار تابوبو » .

فمضى ستنه من خلال سور البستان . وعندما وصل رواق البستان أبلغت تابوبو بالامر . فنزلت وأمسكت بيد ستنه وقالت له :

ها هى الدار التى اتيتها ، دار نبى باستت ربة غنخ تاوى ، طالما وجدت فانى سعيدة للغاية . اصعد الآن معى » .

فارتقى ستنه درجات الدار مع تابوبو فوجد الطابق الأعلى من الدار قد نظف حديثا وازدان باحجار لازورد أصلية ، وفيروز أصلى .

وكانت هناك عدة مضاجع كلها مغطاة بفراش ملكى . وعلى الموائد اصطفت اقداح ذهبية كثيرة . وكان هناك قدح ذهبى مملوءا بالنبيذ ، قدم الى ستنه .

ثم قالت له : « والآن فلتأذن باعداد الطعام حسبما تشتهى » .

لكنه قال لها : « هذا أمر مستحيل بالنسبة لى الآن » ، فوضع فى الشمعدان راتينجا فواحا وعطر المكان بالعطور ، كما يعطر مكان الفرعون •

اما ستنه فقال لتابوبو : دعينا نفعل ما أتينـا من أجله ها هنا » •

فقالت له : « ان كنت تبغى وصول دارك ، هذه التى أنت فيها بالفعل وأنا فاضلة ولست امرأة وضيعة ، وان شئت ان تفعل معى ما تبغى حقا ، فاكتب لى وثيقة نفقة وتعويض بقيمة كل ما تملك من مقتنيات واملاك ، لا ينقص منها شىء » •

فقال لها : « دعى كاتب المدرسة يأتى » ، فاحضر فى الحال • فأمر بكتابة وثيقة نفقة وتعويض مالى بقيمة كل ما يملكه من مقتنيات واملاك لا ينقص منها شىء بعد ذلك بقليل جاء من يبلغ ستنه « ابناؤك تحت » • فقال : « دعهم يصعدون » •

وهنا نهضت تابوبو وارتدت قميصا شفافا من نسيج ملكى ، فرأى ستنه كل اعضاءها فاستعرت رغبة ستنه عن ذى قبل •

وقال ستنه « تابوبو ، دعينى افعل ما اتيت من أجله ها هنا » •

فقالت له : ان كنت تبغى وصول دارك ، هذه ، التى أنت فيها بالفعل وانا فاضلة ولست امرأة وضيعة ، وان شئت أن تفعل معى ما تبغى هنا ، فلتجعل ابناءك يوقعون على وثيقتى ،

ولا تسمح لهم أن يبدأوا النزاع مع اولادى حول ممتلكاتك » •

فاستدعى ابناءه وجعلهم يوقعون على الوثيقة ثم قال ستنه لتابوبو « دعينى افعل ما أتيت من أجله ها هنا » •

فقالت له : أن كنت تبغى وصول دارك هذه التى أنت فيها بالفعل وانا فاضلة ولست امرأة وضيعة ، وان شئت ان تفعل معى ما تبغى حقا ، فيجب عليك قتل اولادك فلا تسمح لهم ان يبدأوا النزاع مع اولادى حول ممتلكاتك » •

فقال ستنه : « اجعلى هذا الشر يجرى عليهم ، هذا الذى خطر ببالك » •

فامرت بقتل ابناءه امامه والالقاء بهم من النافذة الى الكلاب والقطط • فالتهمت اجسادهم بينما كان هو يسمع ذلك ويشرب مع تابوبو •

ثم قال ستنه : « تابوبو ، دعينى افعل ما جئت من أجله ها هنا ، فكل ما قلته لى لبيته لك » حينئذ قالت له : فلتصعد من هنا الى ذلك المخدع » فمضى ستنه الى ذلك المخدع ورقد على سرير من العاج والابنوس ، حتى يقضى وطره • ورقدت تابوبو بجوار ستنه ، فمد يده يلمسها وهنا فغرت فاها وصرخت صرخة مدوية تجاه الأرض وعندما انتبه ستنه كان كالذى اصابته الحمى وكانت رغبته قد سكنت • وقد كان عاريا تماما •

بعد ذلك بقليل رأى رجلا مهيبا فى محفة ، بينما اناس كثيرون يجرون ناحية قدميه وكان يبدو كأنه الفرعون • فاراد

ستته النهوض فلم يستطع القيام من الخجل لانه كان عاريا تماما فتحدث الفرعون : « ستته ، كيف وصلت الى هذه الحال التى أنت فيها ؟ » .

وأجاب : « نى نفر كا بتاح هو الذى فعل بى ذلك » .

وقال الفرعون : « امض الى منف فابناؤك يبحثون عنك ، وهم واقفون كعادتهم امام الفرعون » .

فتحدث ستته امام الفرعون : « مولاى العظيم ، مليكى ، طال عمره مثل رع ، كيف اذهب الى منف وأنا عار تماما » .

فنادى الفرعون عبدا من الموجودين وأمره باحضار ثوب لستته .

ثم قال الفرعون : « ستته امض الى منف فاولادك على قيد الحياة وهم واقفون كعادتهم امام الفرعون » .

فمضى ستته الى منف واحتضن ابناءه وقد وجدهم احياء فقال الفرعون : « ما هذه السكرة ، التى كنت فيها ؟ فروى ستته بكل دقة كل ما حدث له مع تابوبو ونى نفر كا بتاح .

وهنا قال الفرعون : « ستته ، حينذاك فعلت كل ما بوسعى من أجلك عندما قلت لك سوف تقتل إن لم ترجع هذا الكتاب الى مكانه ولكنك لم تطعنى . والآن ارجع هذا الكتاب الى نى نفر كا بتاح .

هذا القص وصل الينا كاملا تقريبا . ولما كان البردى لا يملك مقاومة عالية كان غالبا ما تعيش منه شذرات فقط كل هذه الآلاف من السنين .

الا أن اصغر قطعة تستطيع ان تعطى بعدا جديدا . وبشىء من الخيال نستطيع نحن التعرف على بداية ونهاية القصة التالية :

حكاية الراعى والالاهه :

اثناء ما كان أحد الرعاة يسوق ابقاره الى المرعى فوجىء بمنظر مباغت .

ولكن لم يتبق من هذا النص — الذى كتب حوالى ١٨٠٠ — ١٩٠٠ ق.م — الا ٢٥ سطرا .

وما تبقى كان عبارة عن فقرة يروى فيها « الراعى » القصة لاصدقائه :

انظروا ، عندما انحدرت الى البركة الواقعة على حدود هذا المرعى . رأيت هناك امرأة لم يكن لها جسد انسان . فوقف شعرى عندما رأيت شعرها المستعار المجعد (وكذلك) بسبب بشرتها الناعمة للغاية . ولن افعل ما قالته لى . فقد امسك الخجل منها بكل اعضائى .

وعندما طلع النهار ، باكر صباح اليوم (التالى) فعل كما قص عليه . ولكن هذه الالاهه قابلته (ثانية) عندما مضى الى شاطىء البركة . وقد جاءت بلا ملابس .

حكاية الصدق والكذب :

ان ابطال هذه القصة ــ المؤلفة حوالى ١٢٠٠ قبل الميلاد ــ ليسوا آلهة أو بشر وانما شيئان مجردان • وبالرغم من ذلك كانا يملكان بلا ريب مشاعر انسانية •

وكان « الكذب » قد اعار أخاه « الصدق » سكينا ثم شاء استرجاعها •

وفيما يبدو لم يرد « الصدق » السكين ، لأن الكذب قاضاه • وكان القضاة هم أعضاء التاسوع العظيم •

وقد طالب « الكذب » بسمل عينى « الصدق » وجعله حارسا • فأيد التاسوع ذلك • ولكن « الكذب » لم يكتف بذلك فشاء القاءه للسباع •

الا أن « الصدق » استطاع النجاة وظل يتجول اياما فى الصحراء •

وهنا حدث شىء غ يرمتوقع •

الصدق والكذب :

وبعد عدة أيام خرجت « كذب » من دارها تصحبها جواريها فرأين « صدق » راقدا على سفح التل • وقد كان جميلا ، ولم يوجد له مثيل فى البلاد كلها •

فذهبن الى « صدق » وقلن له : تعال معنا وانظر الرجل الاعمى الراقد وحيدا على سفح التل ، فنحن نبغى حمله وجعله حارسا لدارنا •

وهنا قالت « كذب » لها : آتى به هنا بسرعة حتى أراه •

فمضت وحملته • وعندما جاء ورأته « كذب » اشتاقت اليه جدا لانها رأت كل جسده جميلا • وفى نفس اللية ضاجعها وخبرها كما يخبر الرجل المرأة • وهكذا حملت فى هذه الليلة بطفل •

ومرت أيام كثيرة وانجبت طفلا لم يكن له مثيل فى البلاد كلها وكان ضخما مثل ... وكان مثل اولاد الالهه • فارسل الى المدرسة فتعلم الكتابة وحذقها وتدرب على فنون القتال وتفوق على كل اترابه الاكبر سنا منه ، الذين كانوا زملاء له فى المدرسة •

(واكن فى يوم من الايام) قال له رفاقه :

ابن من أنت حقا ؟ فأنت ليس لك أب •

يجب ان نهينك ونعذبك بان نقول لك : انت بلا أب •

وكان أن قال الصبى لامه : ما اسم أبى ؟ حتى اقول اسمه لرفاقى لانهم ان كلمونى وعذبونى بقولهم : أين ابوك ؟

فقالت له أمه : أنت ترى الاعمى الجالس بجوار الباب ، هذا هو ابوك •

هكذا كان حديثها اليه •

فقال هو لها : يجب احضار أهالك والاتيان بتمساح (ليلتهمه) •

وحمل الصبى الاب الى الداخل واجلسه على مقعد ووضع تحت قدميه مسندا . وقدم له خبزا وجعله يأكل ويشرب .

ثم تحدث الصبى الى أبيه : من اعماك حتى استطيع الانتقام لك ؟

فاجابه : انه أخى الاصغر ، الذى اعمانى .

وحكى له كل ما حدث له . فمضى الصبى فى طلب الثأر لأبيه .

* * *

غالبا ما يظهر الفرعون فى الحكايات المصرية اما فى شكل الملك ببساطة أو يظهر باسمه الحقيقى وقد لعب الفرعون دورا صغيرا فى قصتى زوجة أوبا — أونر ، وستنه وتابوبو ولكن أحيانا ما يلعب الفرعون الدور الرئيسى :

وها نحن نرى الملك سنفروا المغرم بالحسان بطلا للقصة التالية ، وهى موجودة على بردية كتب عليها ايضا قصة زوجة أوبا — أونر . والقصتان تدوران حول احداث كانت تروى للملك خوفو .

الملك سنفرو والعشرون عذراء :

مر الملك سنفرو ذات يوم بكل اروقة القصر ناشدا الترويح عن نفسه . ولكنه لم يستطع العثور على ضالته . فأمر : « امضوا ، واحضروا لى كاهن التراتيل الاكبر ، الكاتب جاجا ام غنخ » فأحضر اليه فى الحال .

فقال له جلالته : « لقد مررت بكل أروقة القصر ناشدا الترويح عن نفسى ، الا اننى لم استطع العثور على ضآلتى .

فقال له جاجا ام غنخ : « فلتتفضل جلالتك بالذهاب الى بحيرة القصر ، واتخذ قاربا وزوده بأجمل من فى قصرك . وسوف ينتشى قلبك لما تراهن يجدفن من رائحات غاديات وعندما ترى اعشاش الطير ببحيرتك والروض حولها والضفاف الجميلة — فسوف يطرب قلبك » .

(فرد جلالته) : « اذا ، اقوم بنزهة بالقارب ولتجهزوا لى عشرين مجدافا من الابنوس المذهب وتكون مقابضها من خشب الصندل المطلى بالذهب الابيس . ثم تحضرون عشرين امرأة لم يلدن بعد ولهن اجساد جميلة وصدور (ناهدة) وشعور مجدلة . ولتحضروا لى عشرين شبكة (مرجان) واعطوا هذه الشباك للنساء بدلا من ثيابهن » . ففعلوا كل ما أمر به جلالته .

وجدفن رائحات غاديات ، وطرب قلب الملك لرؤيته لهن وهن يجدفن . ولكن احدى الربانات شاءت ان تجدل شعرها فسقط منها فى الماء قطعة حلى على شكل سمكة مصنوعة من فيروز جديد .

فسكتت وتوقفت عن التجديف وسكت الصف خلفها وتوقف عن التجديف .

فقال جلالته : « الا تستطعن التجديف ؟ » .

فاجبن : « قد سكتت ربانتنا وتوقفت عن التجديف » .

فقال جلالته لها : « لمــاذا لا تجدفين ؟ » .

فردت : « ان السبب هو سقوط حلية سمك مصنوعة من فيروز جديد فى المــاء » .

فقال جلالته لها : « اتودين ان اعوضك عنها ؟ » .

لكنها ردت : « انى لا اريد الا قطعتى نفسها كبديل » .

حينئذ قال جلالته : « امضوا واستدعوا كاهن التراتيل الاكبر جاجا ام غنخ » .

فاحضر اليه فى الحال .

فقال جلالته : « أخى ، جاجا ام غنخ ، قد فعلت ما قلته لى وقد طرب قلب جلالتى لرؤيتى لهن وهن يجدفن ولكن حلية سمك من فيروز جــديد لاحــدى الربانات سقط فى المــاء فسكتت وتوقفت عن التجديف وهكذا توقف الصف خلفها وقد قلت لها : لمــاذا توقفت عن التجديف فاجابت ان السبب هو سقوط حلية سمك من فيروز جديد فى المــاء .

وهنا تلا كاهن التراتيل الاكبر جاجا ام غنخ احدى التعاويذ ثم قلب نصف ماء البحيرة على النصف الآخر ، فعثر على حلية السمك تحت احدى الشقافات فاحضرها واعطاها لصاحبتها . الا ان الماء الذى كان عمقه فى وسط (البحيرة) يبلغ اثنى عشر ذراعا صار الآن اربعة وعشرين ذراعا بعد ان وضع بعضه على البعض الآخر .

فتلا احدى التعاويذ فاعاد المــاء الى مكانه . واحتفل الملك طوال اليوم مع بلاطه كله وكافأ كاهن التراتيل الاكبر بكل شىء جميــل .

انظر ، هذه هى المعجزة التى وقعت فى عهد ابيك سنفرو ، الصالح ، وهى احدى المعجزات التى أتى بها كاهن التراتيــل الاكبر الكاتب جاجا ام غنخ » .

وقد رويت حكاية مختلفة تماما عن الملك نفر كارع المعروف باسم الملك ببى الثانى(*) الذى ارتقى العرش وهو فى السادسة من عمره وحكم تسعة وتسعين عاما . فلا غرو اذا احتاج الى تغيير ما فى حياته الخاصة . وهذا ما سوف نقرأه فى القصــة التالية :

الملك نفر كارع وقائده :

حدث ان رأى رجل يدعى « تتى » ابن حنت مليكه يخرج وحيدا ذات ليلة . (هنا لاحظ تتى) جلالة ملك جنوب وشمال مصر « نفر كارع » وهو يخرج ليلا ليتنزه وحيــدا ، دون ان يصحبه أحد .

فظل (تتى) بعيدا عنه (أى الملك) لكى يتحاشى رؤيته . وانتظر تتى ابن حنت وفكر وقال لنفسه : ان كان الامر كذلك فيكون حقا ما يروى عنه ، أنه يخرج بالليل » .

(*) ببى الثانى : احد ملوك الاسرة السادسة حوالى ٢٣٠٠ قبل الميلاد .

وكان ان تتبع تتى ابن حنت هذا الاله (نفر كارع) ، دون تفكير ، كى يرى كل ما سيحدث •

أما هو (أى الملك) فقد أتى الى دار سيسنه ، احد قواده ، فرمى بحجر من الطوب ، ثم دق بقدمه • فأنزل اليه سلم فصعد الى أعلى بينما كان تتى ابن حنت ينتظر حتى خرج جلالته مرة أخرى وبعد ما فعل جلالته ما شاء عنده (أى عند القائد) اتجه الى قصره وتتى فى أثره •

وعندما رجع جلالته الى البيت الكبير (القصر) مضى تتى ايضا الى داره •

وكانت اربع ساعات من الليل قد انقضت قبل دخول جلالته الى بيت القائد سيسنه والأربع ساعات التالية قضاها فى بيت القائد سيسنه • وعندما دخل البيت الكبير كانت اربع ساعات قد بقيت على طلوع الفجر •

* * *

الشعر العاطفى :

كان اسم المادة أو الانسان يمثل أهمية عظيمة لدى المصريين فقد كان الاسم أو الصورة يحتويان على قوة سحرية • ولما كانت الهيروغليفية مكونة من صور كانت الكلمة والصورة مقتربتين لدرجة الالتصاق •

ولقد استعمل المصريون منذ أقدم العصور سحر الكلمة كى يضمنوا لانفسهم الحياة فى الآخرة أو من أجل ارضاء الالهة • فقد كانوا يتلون الاناشيد والاغانى والتعاويذ بصورة سحرية تستطيع تغيير الواقع •

وفى عصر الدولة الحديثة (من ١٥٨٠ حتى ١٠٨٥ ق•م) حين كتبت قصائد عاطفية لأول مرة كان هناك بالفعل أدب قائم مثل الاطار لهذه القصائد •

وقد كان للشعر – غير المقفى – ايقاع خاص لا نستطيع الا تخمينه نظرا لجهلنا بمعرفة طريقة نطق اللغة حينذاك • وهو شعر ملىء بالرمز وبالتلاعب بالالفاظ • أما لغته فهى سهلة وواضحة ، وهى غير خليعة على الاطلاق •

والقصائد تدور حول الحب وليس المضاجعة مثلما ورد فى القصص الاسطورية •

والقصائد تأتى على لسان أحد المحبين أو على لسان الشاعر المتخفى •

وقد وجد على ظهر احدى البرديات – التى توصف الصراع

بين ست وحورس — (ب شستربيتى — ١ فى دبلن) نخبة من قصائد كتبت من ثلاثة آلاف عام ، وهى تعالج سعادة وشقاء أحد العاشقين . ومثلما يرد فى القصائد الأخرى ، نجد هنا أن المحبين يخاطبون بعضهم البعض باختى وأخى وهو — كما ذكرت — ليس له علاقة بغشيان المحارم على الاطلاق .

فى البيت الأول نصادف تلاعبا بالالفاظ ويدور حول رقم القصيدة وحول أول الكلمات فى القصيدة :

* * *

الاغنية الأولى :

(الاولى) انها ، الحبيبة ، لا مثيل لها
اجمـــل من الدنيـــا كلهـــا
انظـــر ، انها مثل نجم عام جـــديد مشرق
على عام جميـــل
سناها فضـــائل ، وبشرتها وضاءة
نظـــرة عينهـــا شـــفافة
والكلام حلو فى شـــفاهها
ولا تتفـــوه بكلمـــة زائـــدة
عاليـــة العنق ، ساطعة الصـــدر
وفوق شعرها حجر لازورد أصلى
تفوق الذهب ذرعاهـــا
ومثل كأس اللوتس اصـــابعها
لها هـــدب ثقيل ، وخصر نحيل
وساقان يتنازعان الجمـــال
ان مشت على أرض
خطت خطى الكرام
وســـلامها يسرق قلبى
تلف رؤوس الرجال ، لتراها
ويفرح كل من تلقى اليه تحيتها
ويحس أنه فتى الفتيـــان

وعندما نخرج من دارها
تكون كمن رآها هى ، الاولى

الاغنيـــة الثانية :

بصوته يغرى الحبيب قلبى
ثم يدعنى فريســـة للمرض
هو يسكن بجوار دار أمى
وانا لا اعرف كيف الوصول اليه
قد تكون حاجتى عند أمى
اذن ، فلا ذهب ، لا راها
انظر ، رغما منى يفكر فيه قلبى
وحبى له يملك على أمرى
انظر ، انه واحد من الحمقى
ولكنى انا ايضا مثله
وهو جاهل أمانى ، بأنى أود عناقه
وأن يرسل الى أمى
آه يا حبيبى ، لو جعلتنى الذهبية
(الاهة) النساء من نصيبك
فلتأت الى ، فأرى بهــاءك
ويفرح أبى وأمى
ويحتفى بك كل الناس معــا
وينادون جميعــا ، حبيبى

الاغنيـــة الثالثة :

قلبى اشتاق لرؤيتها
بينما كنت جالسا فى رواقها
قد قابلت « رمحى » فى الطريق راكبا عربته
وحــوله غلمــانه
فلم ادر كيف التحول عنه
وهل لى ان اتجاهله دون ان اضطرب ؟
انظر ، قد بدا لى النهر طريقا
وانا لا ادرى موضعا لقدمى
كم أنت جاهل يا قلبى
لمــا تشاء الاضطراب أمام « رمحى »
انظر ، ان مررت بــه
بحت له بمشاعرى
« انظر انى لك » فهل يهتم بى
بل هو سيصرخ باســمى
وسوف يهبنى لافضـــل
بيت من اتبـــاعه

الاغنيـــة الرابعة :

يثب قلبى مسرعا
حالمــا يخطر حبك ببالى
فلا يدعنى امشى كالبشر

وهو يثب فى مكانه •
لا يدعنى البس ثوبى
أو آخذ مروحتى
أو اضع زينـــة بعينى
أو ادهن بالطيب جسدى
« لا تقفى ، فستصلين هدفك »
يقول لى كلما فكرت فيـه
لا تثقل على بالهم يا قلب
ولم تؤتى الحمـاقة
تماسك فالحبيب قادم اليك
وكذا عيون الكثيرين ايضا
فلا تدع الناس يقولون عنى
« ها هى امرأة فى الهوى هوت »
ولتبق فى مكانك ، كلما فكرت فيه
يا قلب •• لا تثب •

الاغنيـــة الخامسة :

عابد أنا للذهبيـــة
ومسبح بجلالتهـــا
ممجـدا ربـــة السـماء
معلنا مدح حتحور ومجد الالاهة
تضرعت اليها ، وسمعت دعائى

وارسلت الى مولاتى •
فأتت من نفسها لترانى
فوقع بى خطب عظيم جـدا
هللت ، فرحت ، شعرت بالعظمة
لـما قيل : « ها هى — هنا »
انظر ، قد انحنى الفتيان لمقدمهـا
من عظيم حبهم لهـــا
وقد نذرت الاهتى نـذرا
فهى قد اعطتنى حبيبتى كهدية
بعد ثلاثة أيام من تضرعى
اليهـا باسـمها •
وها هى قد مضت عنى
منذ خمســـة أيام •

الاغنيـــة السادسة :

مررت بالقرب من داره
فالفيت بابه مفتوحا
وحبيبى واقفا جوار أمه
وكل أخوته كانوا عنده
كل من مـروا بـه
علقت به قلوبهم
فتى الفتيان من غير شبيه

حبيب من نوع فريد
لما مررت به نظر الى
ففرحت
وقلبى فرح ، فى فرح
حبيبى ، لانى رأيته
آه لو عرفت أمى بقلبى
ولحظت ذلك
ايتها الذهبية ، ضعى ذلك فى قلبها
فاسرع أنا الى حبيبى
واقبله امام أهله
ولا استحى من الناس
بل افرح لحسدهم
لانك تعرفنى
وسوف اقيم عيدا لمعبودتى
– قلبى يقفز ويريد الخروج
ليجعلنى أرى المحبوب فى الليلة ،
الجميلة ، عندما تنقضى .

الاغنية السابعة :

سبعة ايام ، ولم أر المحبوبة
فسقطت فألم بى المرض
وثقل قلبى

ونسيت نفسى
ان اتانى الحكماء ، فلن ارضى دواءهم
ولن يجد السحرة حلا ، فلن يعرف احد دائى .
فان قالوا لى : « انظر ، ها هى هنا » تدب فى الحياة
فاسمها هو الذى ينهضنى
واقبال رسلها ورواحهم
يحفظ الحياة لقلبى
خير من كل الأدواء .. حبيبتى
وافضل من كتاب الوصفات
وطلعتها حجابى
أراها فيبرؤ بدنى
ان فتحت عينيها .. رجع الى صباى
وان تكلمت ، اشتد عودى
فان عانقتها طردت عنى السوء
هجرتنى منذ سبعة أيام

وعلى نفس البردية وجدت ايضا ثلاث قصائد . يحث فيها الشاعر احد الفتيان بالاسراع الى حبيبته :

— ١ —

آه لو أتيت الحبيبة مسرعا
كرسول ملكى
يتلهف مولاه على رسالته

ويتمنى سماعها
من اجله خصصت كل الحظائر
من أجله تنتظر الجياد فى الساحة
من أجله جهزت العربة حيث يقف
وفى السفر لا يسمح له بالراحة .
فان وصل منزل المحبوبة
غمر الفرح قلبه

— ٢ —

آه ، لو جئتنى
كفرس الملك
خيرة الجياد
من أفضل الحظائر
طعامه أفضل طعام
وسيده يعرف اقدامه
فان سمع فرقعة السوط
لا يستطيع احد ايقافه
لا يسبقه أفضل راكبى العربات
فقلب المحب يعرف تماما ،
أن حبيبه ليس بعيدا .
آه لو أتيت المحبوبة مسرعا
كغزال يفر فى الفيافى

كلت أقدامه
تعبت أوصاله
ودب الذعر فى كيانه
خلفه صيادون
تحدق به الكلاب
وهو ، لا يشق له غبار
يرى فى راحته تعطيلا
وقد اتخذ النهر دربا
فلتصل الى كهفى
قبل ان تلثم كفك اربعا
وانت تفتش عن حب الحبيبة
فذاك هو حكم الذهبية عليك . يا صاحب

* * *

ها هى مقارنة تعقد بين فتى عاشق وبين رسول مسرع . فهو مثل الفرس لا يستطيع احد ايقافه مثل غزال يظل يركض حتى يرهق .

ولسوف « يصل الى كهفه » أو بالاحرى الى كهفها فالضمير فى اللغة المصرية واحد فى كلتا الحالتين .

وترادف المعنيين مقصود فالكهف يشير بوضوح الى المتعة التى تنتظر الفتى .

وتحتوى بردية « شيستربيتى ١ » ايضا على عدة قصائد عبارة عن نسخة لبردية اقدم بعنوان : « بداية الابيات الجميلة » ، وقد عثر عليها فى حافظة البرديات وكاتبها يدعى سبك ناخت :

— ١ —

لما تحضرها الى دار المحبوبة
وتقتحم مخدعها
يضطرب بيتها
وتقتلها مولاتها
زدها غناء ورقصا
واهدهم نبيذا وجعة
فتقول لك : خذنى فى ذراعيك
(ولتفعل) الشىء نفسه فى اليوم التالى

— ٢ —

لما تحضرها الى نافذة المحبوبة
وتكون وحيدا ليس معك أحد
كان فعلك كرغبتك فى موقع عيدها
فتنزل السماء على هواء ، لا يحملها
وتحمل اليك نسيمها
عبقا يسكر الحاضرين .

انظر ، الذهبية منحتك اياها هدية
لتجعلك تستعذب حياتك .

— ٣ —

بارعة هى المحبوبة فى نصب الفخاخ
وتنصب فخاخا حولى بشعرها
وتأسرنى بعيونها
وتقيدنى بحليها
وهى توسمنى بخاتمها

— ٤ —

لماذا تخاطب قلبك :
انى (اشتهى) عناقها
بحياة أمون أنى آتى اليك
وثوبى على ذراعى .

— ٥ —

وجدت الحبيب عند الماء
واضعا قدميه على النهر
وبينى هيكلا ، ليحتفى باليوم
وليضع الجعة متراصة .
وشكله كان كشكل صدرى
فارتفاعه اعظم من عرضه

أما النص فيعود الى عهد الدولة الحديثة أى فى حوالى ١١٧٥ قبل الميلاد :

تقول شجرة البستان :

أسنانها مثل بذرى
نهداها مثل ثمرى
وانى خير شجر البستان
فأنا اطرح طوال العام
الحبيبــة وحبيبها
تحت فروعى جــالا
نبيذا ونبيذا حلوا شربا
بالطيب والبلسم تضمخا
كل شيء سواى يزبل
حتى النبات فى مروجه
تمر الاثنا عشر شهرا
كل عام وأنا باقية
فان سقطت منى ورقة
اخرجت من قلبى براعما
ومع أنى خير شجر البستان
يعتبراننى الثــانية
فان تكرر هذا منهمــا
فلن استرهما

ماذا فعلت المحبوبة بى
هل اسكت حبا لهــا
تركتنى واقفا امام بابها
بينما مضت هى داخلة
لم تقل لى ادخل ايها الجميل
وكانت الليلة صماء
(...)
أما الذى غنت لى ، فكانت « تاشرا »
من قاعة موسيقى لابناء العمدة

فى البيت الذى تلى هذا ، نعرف ان هذه الابيات قد غنيت بالفعل وقد ذكر اسم المغنية كذلك مرة واحدة . وفيما يبدو كانت الاغانى مخصصة لتسلية رواد بيوت خاصة .

وبين السطور يمكن قراءة تلاعب بالالفــاظ ، الا اننا لا نعرف الى أى مدى كان ذلك مقصودا . ومن المحتمل انه ترك للمستمع حينذاك تقدير ذلك .

وكان البعض يستخدمون البستان كاطار شعرى لقصائد الغزل .

فعلى احدى البرديات تقوم مناظرة بين الاشــجار فى بستان فاكهة حول أى من هذه الاشجار التى تخدم العاشقين على أفضل وجه .

ولن اضمهما
فينكشف سرهما

* * *

فتؤدب العاشقة
وتضرب العاشق بعصا
من لوتس ابيض وازرق
من براعم وكؤوس
(وسيقر هو معترفا)
من ثمـالة وقد شرب
شتى الالوان
وسوف تدعك تقضى اليوم اجمل ما يكون
وكوخ من الخوص هو السجن سيكون

* * *

انظر ، شجر الرمان على حق
فلتدعنا نتملقـه
ونحتفى به طوال اليوم
أليس هو الذى يضمنا ؟

* * *

شجر التين يحرك فاهه
فتشرع شجيراته فى المناجاة :
جميل أن انفذ أمر مولاتى
وهل هناك مثل مولاتى

اكون انا لها الخادم
ان افتقدت هى الخدام .

* * *

من سوريا أتوا بى
غنيمة للمحبين
وقد تركتنى
جالسا فى بستانها
نبيذا لم تهبنى
فى يوم الشراب
ولم تملاء جوفى
برذاذ قرب المـاء

* * *

ويطلبوننى
(فى ساعة) لا يشربون فيها
اقسم بحياتى ، ايها المحب
انى سوف انتقم منك

* * *

شجيرة الجميز
التى غرستها بيدها
يتحرك فاها تتكلم
حفيف (ورقهـا)

كرحيق الشـــهد
جميلة هى ، فروعها رقيقة
اخضرها يتجدد (مفرحا)
محملة بثمار ناضجة
أكثر حمرة من اليشب
ولها ورق فيروزى
ولحاءها مثـل المرمر
وهى تدعو اليها من لا يجلسون تحتها
فظلها يلطف الهواء
تدس رسالة فى يد الفتاة
ابنـة البستانى
ترسلها مسرعة الى الحبيب
تعال لنمضى لحظة مع اللاعبات

* * *

المروج تحتفل بعيدها
تحتى اوراق وخيمـة
واصحاب الأرض فرحـون
كحبيبة يصيرون هم ان طلعت عليهم
دع الخدم يسبقونك
حاملين حاجياتهم
ومن يسرع اليك يثمـل

قبـل أن يشرب
الخادم اتى بلوازم البيت
جعة وخبزا من شتى الالوان
وزهورا من أمس واليوم
وثمارا شتى للطـرب
آه ، اقض يومك على نحو جميـل
غدا وبعد غـد ، أياما ثلاثة
وأنت جالسة فى ظلى
وعلى يمينهـا صاحبها
تسـقيه هى
وتفعل ما يقول هو
ولـما يزداد الشرب
تبقى هى مع حبيبها
ويحدث تحتى
ان تتقلب الحبيبة
اما أنا فلن أتفـوه
بكلمة عما رأيت

* * *

اما الاشعار التالية فترجع الى عام ١٣٠٠ قبل الميلاد • وهى مستوحاة من الزهور • ومن المؤسف ان التلاعب بالالفاظ فى هذه الابيات لا يظهر فى الترجمة •

— ١ —

(زهـور ترنشـاه)

قلبى اسلمته لك
وأنا فاعلة ما يريد
لمـا ارقد بين ذراعيك
تكون رغبتى زينـة عينى
ان لمحتك تألقت عينى
واتعلق بك حتى أرى حبك
أنت .. زوجى فى قلبى
تلك الساعة فاق جمالها الحد
فليتها صـارت دهرا
فمنذ ضاجعتك
صار قلبى يخفق عاليا
ان اشتكى أو فرح
فلا تبعد عنى .

— ٢ —

(زهر العليق) فيـه

وأنا لك ، مثل قطعة أرض
زرعتها بالزهر
وبكل عشب له رحيق حلو
كم هى جميلة تلك الترعة فيها

لاتى حفرتها بيدك
وهى مكان جميل للنزهة
حيث ينعشنا ريح الشمال
يدك راقدة فوق يدى
وجنـدى نشـوان
وقلبى فى فرح
لاننا نمضى سـويا
سماع صوتك .. كالنبيذ الحلو
فأنا أحيا من سمـاعه
وكل نظرة ترانى بها
هى انفع لى من طعام وشراب

— ٣ —

(زهرة الخشخاش)

انى آخذة اكاليلك
فقد أتيت ثملا
ورقـدت فى رواقك
وأنا أدلك قـدميك

اما الابيات التالية فتدور حول حب هانىء غير معقد .. فالمحبان متيقظان بكل حواسـهما . فنجـد كلاهمـا يتأملان ويستنشقان ويلامسان بعضهما البعض . وهكذا ترك الشـاعر

كلماته لاجيال بعده مسطورة على شقافة من الحجر الجيرى
واخرى مكملة لها .

لما احتضنها
وتلفها ذراعاى
نكون وكأننا فى بلاد بونت
مثل (الطيب) فى الزيت .
أقبلها
فتنفرج شفاهها
فانتشى أنا
دون جعة
مولاى ، زوجى (آتية أنا) معك
فالذهاب (للنهر) شىء جميل
وأنا (فرحة) انك رغبت
ان انزل (الماء) ، واستحم امامك
ساجعلك ترى جمالى
فى ثوب من أجمل نسيج ملكى
بالبلسم مضمخا
وبالطيب مبللا
انزل الماء ، لاكون معك
ولاجلك ارجع بسمكة حمراء
ترتاح على اصابعى

واضعها على (صدرى)
(أنت) ، زوجى ، حبيبى
تعال وانظر .

* * *

لكى نعرف دقائق القصيدة الاخيرة لابد لنا أن نعرف أن المصريين مغرمون بملابس النساء الشفافة . فهم قد اعتادوا على العرى أو شبه العرى حتى صار لا يمثل عندهم جاذبية أو سرا .

أما المرأة فى قميص رقيق وشبه شفاف ، يلتصق مبللا بالجسد ، فكانت تثير خيالهم .

ما صورة امرأة جميلة ومعها سمكة — المرادف لعضو التناسل — فهى صورة مثيرة للغاية .

وقد كان الحب الحقيقى يصاحبه دائما الخوف من ان لا يتحول الى حقيقة .

وهذا ما سوف نقرأه فى الاشعار التالية المكتوبة فى عصور مختلفة :

منزل الحبيبى الريفى
بابها فى منتصف دارها
مصاريعه مفتوحة
ومزلاجة منفرج
فالحبيبة غاضبة

آه لو صرت حارسا
وأثرت سخطها على
فاسمع صوتها حانقة
وأصير طفلا خوفا منها
ايتها الجميلة أود
ان أحضر حاجاتك ، مثل مولاتك
وأن يرقد ذراعى على ذراعك
وتنتفعين بحبى لك
اخاطب قلبى فى جسدك
بتضرع (المحبـة) :
اعطنى اياه ، كـ (زوج لليلة)
والا كنت كمن يرقد فى قبر
السـت انت العافية والحياة
كم يفرح (لانك حية)
كم يفرح لانك معافية
قلبى هذا ، الذى يبحث عنك
آه لو كنت زنجيـة
تغسل قدميهـا
فاستطيع ان انظر
بشرة كل جسدها .
آه لو كنت غاسلا (لثيابها)

لشـهر واحـد
فاكون (سعيدا) ان اغسل الزيت
الذى علق بثوبها
واستطيع ان احضر (ثيابها)
(فتنهرنى أو تمدحنى)
آه لو كنت خاتمها
الـ (ملتف على اصبعها)
(فسوف تحمينى)
كشىء يزين حياتها .
آه لو كنت مرآة لك
فتنظرى دائما الى
ليتنى اصير قميصا
فترتدينى دوما
ليتنى كنت ماء
يستحم به جسدك
أو بلسما يا حبيبتى
فاستطيع دهانك
أو صدرية لثدييك
أو درة فى عنقك
ليتنى كنت نعلا
تدوسه قدماك

هذه الاشعار الاخيرة ، الموافقة تماما للتقايد المصريه مترجمة عن اليونانية . وتنتسب الى مجموعة شعرية لاناكريون الذى عاش فى القرن السادس قبل الميلاد . وكانت هناك ثمة محاولة من أنها عبارة عن ترجمة من أصل مصرى .

وهناك حب له اعراض جانبية : فاذا ما قارنا العسل بأى شىء آخر فسيكون طعمه مرا :

ان رأيت فطيرا حلوا

كان مذاقه عندى كالملح

وكذا النبيذ الحلو

طعمه مثل المرارة

لان قبلاتك وحدها

هى التى تحيى قلبى

وما لقيته أهديه لامون

أبد الابدين .

وأحيانا ما يكون الحب مثل السقم فلنا ان نتخيل شـابا يعتزل الناس ليحلم بحبيبته ويشقى بها :

سوف ارقد بالداخل

وازعم المرض

حتى يدخل جيران ليرونى

فتأتى حبيبتى معهم

وبها استغنى عن الاطباء

فهى تعرف دائى

اما وجوده مع من يحب فهو أهم شىء على وجه الأرض :

(..)

عثرت على الحبيب فى رواقه

فغمرت السعادة قلبى

وقلت (لن ابعد عنك)

ويدى فى يدك

فلما اكون عندك

كأنى ارتاد كل مكان جميل

فهو يجعلنى الفتاة الأولى

ولا يحزن قلبى

* * *

ولكن أحيانا يحدث أن يهدد الفراق الحبيبين ، بسبب عدم رضا الوالدين مثلا . فبعد بيتين يذكر فيهمـا وله الفتى تعلن الفتاة عن تمسكها (بحبيبها) :

(..)

لن أفارقه وان طاردتنى الهراوات

وقضيت اليوم كله فى مستنقعات

أو (طاردتنى) عيدان ونبابيت

من البلاد السورية

أو (طاردتنى) العصى الى بلاد النوبة

أو الزخم الى حافة الصحراء
أو العصى الى شط البحر
ولن اسمع نصحهم
بالا البى رغبتك

وفى قصيدة أخرى يدور الكلام حول عتاب بين الحبيبين . فبعد لقاء شاء الفتى ان يمضى الى داره . الا ان الفتاة اعترضت بحدة .

وخطر ببالها فكرة تمنعه عن الذهاب :

لمـا اكون معك يخفق قلبى عاليا
فان لم تعانقنى بقى قلبى ساكنا
وتثيرنى حيرة (مشاعرى)
لمـا تلمس ساقى
أتمضى
هل تذكرت طعاما
أأنت من يمضى خلف بطنه
أتمضى
هل تذكر لباسا
وأنا ربة الفراش
ان كنت تمضى لجوع أو ظمأ
فها هو ثـديى
مترع لك ، مترع ، ما املك

رائع هو اليـوم
رائع لمـا تحتضنى

* * *

وذات يوم ينتهى الحب ويبقى أحدهما بقلب منكسر :

يممت وجهى شطر الباب
انظر ، قد جاء المحبوب
وعينى على الطريق
واذنى مرهفـة
انى مترقبه « بامحا »
وأقصر حبى على حبيبى
لامرى الوحيـد
فقلبى لا يخفق الا له
الا بعث الى رسولا
سريع العدو فى رواح وغدو
ليقول لى
انه خذلنى
اذن قل ، انك عثرت على أخرى
صارت جميلة فى عينيك
فهل تقصينى أنا
بمكيدة امرأة أخرى

موضــوعات الكتــاب

الموضـــــوع ... الصفحة

مقـــدمة ... ٣

الفصـــل الأول ... ١٠

المصريون والجنس ... ١٠

الفصـــل الثانى ... ١٩

المحظيات والزنا ... ١٩

زواج المحــارم ... ٢٧

تعــدد الزوجات ... ٣٠

الفصـــل الثالث ... ٣٤

الاثارة لغة وصـــورة ... ٣٤

الفصـــل الرابع ... ٥٣

الشـــذوذ ... ٥٣

الفصـــل الخامس ... ٦٣

الحكمـــة ... ٦٧

التقاويم وكتب الأحلام ... ٧٤

نصوص السحر ... ٧٨

حكايات اسطورية ... ٨٢

قصة من حياة التاسوع ... ٨٣

كيف حملت ايزيس بحورس ... ٩٠

الميلاد الالهى لحتشبسوت ... ٩١

حكاية باتا وزوجة أخيـــه ... ٩٣

الموضـــــوع	الصفحة
(حكايات عن الرجال)	٩٩
حكاية زوجة اوبا اونر ورجل من المدينة	١٠٠
حكاية ستنه وتابوبو	١٠٣
حكاية الراعى والالهة	١١١
حكاية الصدق والكذب	١١٢
الملك سنفرو والعشرون عـــذراء	١١٤
الملك نفر كارع وقائده	١١٧
الشعر العاطفى	١١٩

منذ عهد موسى كُتب على المصريين الموت
جزاء عدل ، على قوتهم
والحرب ضدهم
غير كل الحروب
الكتاب القديم
يعطى ضوءا أخضر
لاعمال جديدة
فى الماء
فى الرمل
كتبت الكذبة
بحقيقة دامية
تقتل ظمأ أو حرقاً

الشاعر الألمانى (اليهودى)
إريش فريد